تبادل الخطابات

بين
المسيح عيسى عليه السلام
والملك آبجار ملك أوديسا



مكتبة جزيرة الورد
المنصورة



تبادل الخطابات

بين
المسيح عيسى عليه السلام
والملك آبجار ملك أوديسا

الدكتور الشيخ
أحمد حجازى السقا

مكتبة جزيرة الورد
المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

صدق الله العظيم

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

بيـــــان
من المترجـم

فى الكتاب[١] الذى يضم الأناجيل المرفوضة والرسائل، رسالة من ملك قد سمع بأخبار المسيح عيسى عليه السلام. وقد رد المسيح عيسى عليها. وهذه الرسالة والرد عليها؛ يدلان على أن المسيح عيسى عليه السلام إنسان لا إله. إنسان قد كلم الناس بالحق الذى سمعه من الله. كما حكى عنه يوحنا: «فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به: إنكم إن ثبتم فى كلامى، فبالحقيقة تكونون تلاميذى، وتعرفون الحق، والحق يحرركم. أجابوه: إننا ذرية إبراهيم ولم نستعبد لأحد قط. كيف تقول أنت: إنكم تصيرون أحرارا؟ أجابهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: إن كل من يعمل الخطية؛ هو عبد للخطية، والعبد لا يبقى فى البيت إلى الأبد. أما الابن؛ فيبقى إلى الأبد. فإن حرركم الابن، فبالحقيقة تكونون أحرارا.

أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم. لكنكم تطلبون أن تقتلونى؛ لأنّ كلامى لا موضع له فيكم. أنا أتكلم بما رأيت عند أبى، وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم. أجابوا وقالوا له: أبونا هو إبراهيم. قال لهم يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم، لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى. وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله. هذا لم يعمله إبراهيم. أنتم تعملون أعمال أبيكم.

فقالوا له: إننا لم نُولد من زنى. لنا أب واحد وهو الله. فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى؛ لأنى خرجت من قِبَل الله وأتيت. لأنى لم آت من نفسى، بل ذاك أرسلنى. لماذا لا تفهمون كلامى؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولى. أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا... إلخ» [يوحنا ٨: ٣١]

يقصد بالابن: ما فى الزبور الثانى لداود عليه السلام. وهو محمد ﷺ .

وقد صرح المسيح عيسى عن نفسه بقوله «أنا إنسان» ومع هذا فإن نصارى الأرثوذكس يعتقدون أن عيسى هو الله نفسه، وقد ظهر فى الجسد. يعتقدون أن

(١) NEW TESTAMENT APOCRYPHA.

الله رب العالمين؛ نزل من السماء إلى الأرض، وحبلت به مريم بقوة الروح القدس، وظل فى بطنها تسعة أشهر، ثم نزل طفلا، ثم نما وكبر، إلى أن بلغ سن الثلاثين، فبلّغ الرسالة إلى اليهود، ثم قتله اليهود وصلبوه ووضعوه فى قبر. وبينما هو فى القبر، نزل إلى الجحيم وتعذب بالنار ثلاثة أيام، ثم خرج من الجحيم، وصعد إلى السموات العلى. ويُطلق عليه أقنوم الآب من قبل دخوله فى بطن العذراء،ويطلق عليه أقنوم الابن من بعد خروجه من بطن العذراء. ويُطلق عليه أقنوم الروح القدس من بعد خروجه من الجحيم. والابن عندهم على المجاز.

فهو عندهم إله واحد فى مراحل ثلاثة. وهم لا يقولون بتعدد الآلهة، بل بتجسد الله فى جسد إنسان هو يسوع. وعن مذهبهم يقول الله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾

ونصارى الكاثوليك والبروتستانت: يعتقدون أن الله إله، والمسيح إله. وهو أيضا ابن الله بالطبيعة. والروح القدس إله. ويعتقدون أن الله يخلق، والمسيح يرزق، والروح يحيى ويميت. وكل واحد له عمل لا يشاركه فيه غيره. وكل منهم على كرسى ومنفصل عن الآخر. وعن مذهبهم يقول الله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾،أى ثلاثة منفصلون. وعن المذهبين: ﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾، أى ثلاثة آلهة، أو ثلاث مراحل.

وهم كلهم بعقائدهم هذه يكذبون التوراة، والإنجيل، والمأثور عن عيسى نفسه فى كتب الأساطير وكتب الحقائق. وهذا الخطاب والرد عليه، الذى نترجمه من الجزء الأول من كتاب أبو كريفا العهد الجديد المطبوع باللغة الإنجليزية فى أمريكا؛ يرد على عقائدهم ويبطلها، وهذا هو ما نريد إثباته.

واعلم: أنه مكتوب فى التوراة: أن الله قال لبنى إسرائيل: «أنتم أولاد للرب إلهكم» [تث ١٤: ١] أى المنتسبين إليه، لا إلى الشيطان الرجيم. وقد جاء فى إنجيل يوحنا: أن أولاد الله معناها: المؤمنون بالله. ذلك قوله: «وأما كل الذين قبلوه، فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله. أى المؤمنون باسمه» ومكتوب فى التوراة: أن الله ليس كمثله شيء «ليس مثل الله[1]» [تث ٣٣: ٢٦] وأنه لا يُرى

(١) أيضا: ٢ صم ٢٢: ٤٥ ومزمور ١٨: ٤٤ ومزمور ٦٦: ٣ ومزمور ٨١: ١٥.

ولا يقدر أحد على رؤيته [خر ٣٣: ٢٠] وأنه هو الخالق للعالم وحده [تث ٦: ٤ ـ ٩] وهذا كله يدل على أن المسيح ابن. على سبيل المجاز، كما يقول الشيخ لتلميذه: يا بنى، ويدل أيضا على أن المسيح ليس هو الله؛ لأن الناس رأوه، وتحدثوا معه. فضلا عن أنه كان ينام ويقوم. وفى التوراة: أن الله لا تأخذه سِنَة ولا نوم [مز ١٢١: ٣].

وقد كلم المسيح عيسى بنى إسرائيل بلسان قومه؛ ليبين لهم. وقال لمريم المجدلية: لما قالت له: «ربُّونى الذى تفسيره يا مُعلِّم. قال لها يسوع: لا تلمسينى؛ لأنى لم أصعد بعد إلى أبى. ولكن اذهبى إلى إخوتى، وقولى لهم: إنى أصعد إلى أبى وأبيكم، وإلهى وإلهكم» [يو ٢٠: ١٦ ـ ١٧] فمريم نادته بلقب «ربونى» الذى تفسيره يا معلم. والربى أو الربونى، أو الربانى؛ هو الأستاذ العظيم من نسل هرون عليه السلام. وقد بين لها: أن الله هو ربه وربُّهم. وقال بولس: إن الله تعالى هو أب لعيسى عليه السلام مجازا «كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفته» [أفسس ١: ١٧] وقوله هذا ينقض اعتقاد الأرثوذكس فيه. ورئيسهم فى زمانى هذا: هو البابا شنوده الثالث.

هذا عن بشرية عيسى ـ عليه السلام ـ الثابتة فوق ما تقدم: من تبادل الخطابات بينه وبين الملك «آبجار» ملك «إيديسّا» إذ الكتابة والرد من إنسان إلى إنسان يدلان على أنهما إنسانان بشريان. ولا يدلان على إله يكتب لإنسان. أو على إنسان يكتب إلى إله، ويرسل إليه شخصا ليسلمه الرد فى يده.

وأما عن «البِيراكليت» وهو اسم «أحمد» ﷺ فى إنجيل يوحنا المعترف به: فإن الكلام الذى ترجمناه: يظهر أن «مانى الفارسى» فى القرن الرابع الميلادى قد ادعى أنه هو «البِيراكليت» الذى بشر عيسى أتباعه بمجيئه من بعده. وادعاء «مانى» بأنه هو البيراكليت، الموعود به؛ يدل على أن البيراكليت: شخص بشرى يأتى من بعد عيسى ـ عليه السلام ـ ليظهر رسالة للعالم، وتبقى إلى الأبد.

إن عيسى عليه السلام بشر بأحمد ﷺ من بعده، وهو نبى الإسلام. و«أحمد» فى اللغة العبرانية موضوع بدلها «بِيراكليت» وتترجم فى اللغة اليونانية «بِيراكليتوس» وقد لقّب عيسى ـ عليه السلام ـ أحمد، بلقب «الروح القدس» أى

يستمد شرعه من الله الطاهر، لا من الشيطان النجس، الذى قد يلبس جسد رجل أثيم، وينطق على لسانه.

وفى هذا المعنى يقول تعالى: ﴿وما تنزلت به الشياطين. وما ينبغى لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون﴾.

وقد حرف النصارى نطق الكلمة إلى «باراكليت» وقالوا: إنه هو اسم للروح القدس. الإله الثالث فى الثالوث. وترجموه بـ «المعزِّى» ومن الردود الدامغة على تحريفهم هذا، من الكلام الذى ترجمناه:

أولا: إن الكلمة فى اليونانية جاءت فى النصوص بزيادة حرف السين فى آخرها. هكذا: «باراكليتوس» Paracletise وحرف السين يدل على أن الكلمة اسم. مثل: توماس فى توما، ويوسابيوس، ويوسيفوس. وغيرهم.

ثانيا: لو لم يكن «الباراكليت» شخصا بشريا. لما أمكن لمانى الفارسى أن يقنع أتباعه بأنه هو «الباراكليت» الذى سيجيء من بعد المسيح عيسى إلى العالم.

يقول عيسى عليه السلام: «إن كنتم تحبوننى؛ فاحفظوا وصاياى. وأنا أطلب من الآب فيعطيكم مُعَزِّيًا آخر؛ ليمكث معكم إلى الأبد... إلخ» [يو١٤: ١٥] وسنبين هذا فيما بعد.

وأسطورة آبجار ـ وهم الذين يقولون إنها أسطورة ـ تظهر للناس: أن العقائد النصرانية فى بدء وضعها، قد قواها النصارى بطرق شتى. وهذه الأسطورة موضوعة لإثبات الصلب والفداء. إذ ليس فى الإنجيل أن المسيح يفدى من عذاب جهنم، من لم يعمل عملا صالحا. فقد حكى عنه متى: «إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس، سوف يُعطون عنها حسابا يوم الدين؛ لأنك بكلامك تتبرر، وبكلامك تُدان» [متى ١٢ : ٣٧] وفى الإنجيل بعد رواية حادثة الصلب: أنه أكل مع الحواريين وشرب. ثلاث مرات. يأكل ويشرب. كما قال يوحنا: «هذه مرة ثالثة، ظهر يسوع لتلاميذه بعدما قام من الأموات» [يو ٢١: ١٤] ومن كان هذا حاله؛ فإنه لم يصلب.

وقد اختلطت الأمور على الناس فى الملة النصرانية بسبب تقويتهم العقائد بالطرق الكثيرة. ومعرفة الحق فيها إنما يكون بالرجوع إلى التوراة؛ وذلك لأن فيها

نبوءات عن نبى واحد سيأتى إلى العالم بشريعة مثل شريعة موسى عليه السلام؛ زعم اليهود أنه سوف يظهر من جنسهم والمسيح عيسى عليه السلام قد أرسله الله تعالى إليهم ليبين لهم أنه هو محمد رسول الله ﷺ وقد أظهر المسيح كل النبوءات، وفسرها على محمد ﷺ وبشرهم بمجيئه من بعده. وكتب هو النبوءات بتفسيرها فى إنجيله وعرفها الأمى والعالم.

وبعد ثلاثة قرون تقريبا؛ أذاع النصارى بأن النبى الآتى هو المسيح عيسى نفسه فى مجيئه الثانى، وانتخبوا أربعة أناجيل من أناجيل كثيرة، وعدّلوا فى معانيها لتدل على ما أذاعوه. ثم قووا عقائدهم بشتى الطرق.

وهذا هو نص التوراة عن النبى الآتى:

«يُقيم لك الرب إلهك: نبيا. من وسطك. من إخوتك. مثلى. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا: لا أعود أسمع صوت الرب إلهى، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا؛ لئلا أموت. قال لى الرب: قد أحسنوا فى ما تكلموا.

أقيم لهم: نبيا. من وسط إخوتهم. مثلك. وأجعل كلامى فى فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه. وأما النبى الذى يُطغى. فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أُخَرى؛ فيموت ذلك النبى.

وإن قلتَ فى قلبك: كيف نعرفُ الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبى باسم الرب، ولم يحدث، ولم يصر؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى؛ فلا تخف منه» [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢]

وهذا النبى لم يكن قد ظهر إلى زمان عيسى عليه السلام ويحيى عليه السلام ففى إنجيل يوحنا: «وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم؛ كهنة ولاويين؛ ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، وأقر: أنى لست أنا المسيح. فسألوه: إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا. النبى أنت؟ فأجاب: لا. فقالوا له: من أنت؛ لنعطى جوابا للذين أرسلونا؟ ماذا تقول عن نفسك؟ فقال: أنا صوت

صارخ فى البَرِّية: قوّموا طريق الرب، كما قال إشعياءُ النبى. وكان المرسَلُون من الفَرِّيسيين، فسألوه، وقالوا له: فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح، ولا إيليّا، ولا النبى» [يو ١: ١٩ ـ]

وأوصاف النبى فى التوراة تنطبق على محمد ﷺ فإنه من وسط إخوتهم. والله يقول فى القرآن الكريم: ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ ويقول عن إسماعيل وإسحق: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾ والبركة تبدأ فى النَّسْل من نبى. ولم يظهر من إسماعيل إلا محمد؛ فيكون هو الآتى؛ لتبدأ به بركة إسماعيل عليه السلام. وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ وقد شرحنا النبوءات فى كتاب البشارة، وكتاب الاقتباسات.

والله نسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين

د/ أحمد حجازى السقا

ميت طريف ـ دقهلية

١٩٩٨/٨/١

The Abgar Legend

H.J.W.Drjvers

Literature: on the Abgar legend: R.A.Lipsius, Die edessenische Abgar - sage, 1880. L. - J Tixeront, Les origines de l' eglise et la legende d' Abgar. Etude critique, paris 1888; E. von Dobschitz, Christusbider. Untersuchungen zur chrislichen Legende, (TU 18), 1899; J.B. Aufhauser, Antike Jesus- Zeugnisse, KI. Texte 126, 1913, pp. 17- 31; BardnhewerI, 1913, 590 - 596; Quasten I, 140143; Yassa' Abd al- Masih, BIFAO 45, 1947, 65-80; 54, 1954, 13-43; R. peppermuller, Griechische papyrusfragmente der Doctrina Addai, Vig.chr. 25, 1971, 289- 301; A. de Santos, pp. 662-669, pp. 656-663 (lit.); G. phillips, The Doctrine of addai, the Apostle, London 1876 (reprint G. Howard, The The Doctrine of Addai, the Apostle, London 1879 (reprint G. Howard, The teaching of Addai, Scholars press, Chico 1981); H.j.W. Drijvers, Addai und Mani. christentum und Manichaismus im dritten Jahrhundert in Syrien, or. chr. A. 221, Rome 1983, 171- 185; id Jews and Christians at Edessa, JJS 36, 1985, 88- 102; id. Facts and problems in Early syriac- Speaking christianity, the second century 2, 1982, 157 - 175= East of Antioch. Studies in Early syriac christianity, London 1984, VI. A. Desreumaux, La doctrine d, Addai, I, image du Christ et les monophysites, in F. Boespflug - N. Lossky, Nicee 11 787- 1987, paris 1987, pp. 73- 79.



أسطورة آبجار

المقدمة:

إن تبادل الخطابات بين عيسى ـ عليه السلام ـ وبين الملك «آبجار فى يو كاما» Abgar VUy kama ملك إيديسّا Edessa (4B.C-A.D 7.13 - 50 A.D) تشكّل لبّ أسطورة آبجار. فلقد سمع هذا الملك عن معجزات عيسى ـ عليه السلام ـ الخاصّة بشفاء الناس من أمراضهم، ودعاه عن طريق خطاب إلى «إيديسّا» لكى يشفى «آبجار» من مرضه. وأيضا: لكى يمنع عنه أذى اليهود، الذين كانوا يناصبونه العداء. وقد أوضح له فى رده عليه؛ شكره على إيمانه بدعوته، مع أنه لم يره. وأنه لا يمكنه المجيء إليه، وذلك لأنه بعد تأدية رسالته؛ سيصعد إلى أبيه

السماوى، الذى أرسله. وسينيب عنه فى المجىء إليه واحدا من الحواريين، الذين لهم قدرة على إبراء الناس من أمراضهم، وإنه سيبرؤه هو وشعبه بعد صعوده إلى السماء.

وبعد صعود عيسى ـ عليه السلام ـ أرسل «جيوداس» المسمى أيضا «توماس» الحوارى Judas Thomas رجلا اسمه «آدّاى» Addai ويسمى أيضا تدّاوس Thad-daeus بواسطة يوسابيوس Eusebius إلى إيديسّا فشفى «آبجار» وحوّل المدينة إلى الملة المسيحية (H. E. 113.11.1.6-8)

الشهادة:

وأوّل من ذكر هذه القصة الأسطورية هو «يوسابيوس» وأكد بقوة على أنه كانت لديه هذه الخطابات، وأنه عرف من سجلات المملكة: أن الحوارى «تَدّاوُس» زار «إيديسّا» وعاش فيها. ووضع «يوسابيوس» فى تاريخه عن الكنيسة .I.13. 5) (22.11.1.6.ff عبارات أدبية ترجمها من اللغة السريانية عن هذا الموضوع فى الموضع المناسب لذكره.

وقد أكد «أفرايم ساويروس» Ephraem Syrus (d.373) كلام «يوسابيوس» فى قوله: إنه عندما يحتفل باهتداء المدينة، يذكر اسم «آدّاى» ويكتفى بذلك.

أمّا «إجريا» (The western pilgrim egeria) الحج الغربى. الذى زار «إيديسّا» فى سنة ثلثمائة وأربعة وثمانين، وكان من المقربين لأبجار؛ فإنه أخبر عن هذه الخطابات، عن طريق مطران إيديسّا (the bishop of Edessa) ـ راجع:

(peregrinatio Egeriae 17.1, 19, sc 296, 1982)

ويعترف «إجريا» بأن «توما» الحوارى Thomas هو المرسل إلى المدينة إيديسّا ولا يذكر تدّاوس thaddaeas أو آداى Addai على الإطلاق. على الرغم من أنه يفصل الأمور تفصيلا.

وقد أخبر مطران المدينة إجريا: بأن الملك آبجار، والملوك الذين كانوا من بعده، كانوا إذا حدث حصار للمدينة، يُحضرون الخطاب، ويعلقونه على الباب، ويقرأونه؛ فتتفرق الأعداء على الفور. ولذلك ثبّت الإيديسّيون صورا من الخطاب

على أبواب المدينة، لحماية المدينة من أعدائها.

واستخدام خطاب عيسى - عليه السلام - إلى آبجار، فى حصانة المدينة من أعدائها، غير موجود فى نص يوسابيوس. لكنه يظهر فى بقايا مخطوطات يونانية، مكتوبة على ورق البردى.

(R. Peppermuller, Griechische Papy - rusfragmente der Doctrina Addai, Vig. chr. 25, 1971, 289 - 301).

وأصل الموضوع الذى عُرف من يوسابيوس: هو تبادل الخطابات بين عيسى - عليه السلام - والملك آبجار، وأن «آداى» هو الرسول إلى «إيديسا» وبه اهتدت المدينة.

وكل ذلك يظهر مرة أخرى فى مذهب آداى {Doctrina Addai} بسرد مفصل طويل، يقبله العقل عن تبشير الرسول، واهتداء رجال الدين الوثنيين، واليهود.

(DriJvers, Cults and Beliefs at Edessa, Leiden 1980) - (Drijvers, Jews and christins at Edessa, JJs 1985, 88 - 102)

ويضاف إلى ذلك: أسطورة اكتشاف الصليب the legend of the discovery of the cross by protonice على يد «بروتونايش» Protonice زوجة «كلوديوس» - قيصر الرومان - Claudius والمودة التى بين «آبجار» عدو اليهود، وبين الإمبراطور «طيباريوس» Emperor Tiberius الذى اعتنق مذهب «آداى» وتفيد شواهد النصوص: بأن مذهب آداى، قد ظهر فى الوجود، للمرة الأولى، فى بداية القرن الخامس الميلادى (cF. A.Desreumaux, La Doctrine, d,Addai Essai de classement des temoins syriaques et grecs, Augustinianum 23, 1983, 181 - 186) وبأن الشكل الخاص بأسطورة اكتشاف الصليب، قد عُرف فى بداية القرن الخامس الميلادى.

(M. vanr Esbroeck, Bedi Kartlisa 37 1979. 102 - 132)

إذ أن ما قبل الثورة فى «إسبانيا» Spain والحروب التى تلتها؛ هما معلومان من التاريخ، بعد غزو القوط Goths

وبالنظر فى نص يوسابيوس، وببقايا مخطوطات يونانية على ورق البردى، والنصوص السريانية، الخاصة بمذهب «آداى» يتبين: أن هؤلاء الشهود الثلاثة يرجعون احتمالا، إلى أصل سريانى، كان شائعا، وترجم إلى اللغة اليونانية، ولا يمكن إرجاع نص المخطوط اليونانى البردى إلى نص يوسابيوس. ولذلك فإنه يجب علينا أن نعترف بوجود نص يونانى منفصل عن أسطورة آبجار هو ليوسابيوس (ص ٢٩٩، ١٩٧١، Peppermuller, vig chr. ٢٥) هو أكثر تعقيدا عن: إى فون دوبستشز (E. Von, Dobschutz) فى وقته المفترض(٤٨٦ ـ ٤٢٢، ١٩٠٠ ٤٣ Der BrieFwechsel ZWischen Abgar und Jesus Zw th) وإنه يفترض أن هذه المخطوطة الأصلية لأسطورة آبجار، قد احتوت على هذا التشابه، فى المقطع الأخير الشهير، الموجود فى خطاب عيسى ـ عليه السلام ـ إلى آبجار الذى يَعِدُه فيه عيسى Jesus بقوله[١]: «إن مدينتك سوف يباركها الرب، ولن يتسلط الأعداء على من فيها[٢]» وهذا المقطع هو الذى يظهر وجه المناسبة لخطاب

(1) M.V. Oppenheim and F. Hiller von Gaertringen, Hohleninschrift von Edessa mit dem Brefe Jesu an Abgar, SBA, 1914, pp. 817 - 828; door insription in Ephesus, see Hiller, p. 823. Inscription from pontus, Studia pontica III, 1910, No. 210, 226.

(2) Survey of the material then known in E. von Dobschutz, Christusbilder, TU 18, 1899, PP. 102- 105; 158+ - 259+; 130+ - 156++; see also ZWTh 43, 1900, 422 - 486; further s. Grebaut, 'Les relations entre Abgar et Jesus', ROC 21, 1918- 1919, 73ff. 190ff. 253ff. F. Nau, 'Une insription grecque d'Edesse: La lettre de N.S.J.-C. a Abgar', ROC 21, 1918- 1919, 217ff.; Ch. picard, 'Un texte nouveau de la correspondance entre Abgar et Jesus- Christ grave sur une porte de ville a philippes (Macedoine), BCH 44, 1920, 41-69; H.P. Blok, 'Die koptischen Abgarbriefe des Leidener Museums', Ac. Or. 5, 1927, 238 - 238 - 251; L. Casson - L. E. Hettich, 'Excavations at Nessana II', 1950, 143- 147; Yassa 'Abd al- Masih, 'An Unedited Bohairic Letter of Abgar', BIFAO 45, 1947, 65-80; 54, 1954, 13-43; S. Giversen, 'Ad Abgarum. The Sahidic Version of the Letter to Abgar on a Wooden Tablet', Ac. Or. 24, 1959, 71- 82; R. Peppermuller, 'Griechische papyrusfragmente der Doctrina Addai', Vig. Chr. 25, 1971, 289- 301, esp. p. 291, note 14, with all the new discoveries.

عيسى إلى آبجار، وهو يُنقل وحده بالكتابة على أوراق البردى.

وقد حظيت أسورة آبجار بالانتشار الواسع المدى فى اللغة السريانية والأرمنية واليونانية واللاتينية والعربية والفارسية والسلافونية SIavonic وفى الأراضى القبطية Coptic linguistic areas والترجمة اللاتينية لتاريخ الكنيسة ليوسابيوس (Charch History by Rufinus 402 -3) قد ساعدت هى أيضا على الانتشار السريع لهذه الأسطورة فى الغرب.

أما فى الشرق. فإن الأرمن Armenian قد أذاعوها عن النص السريانى. ولأهميتها العظمى، قد وُضعت فى تاريخ الكنيسة عن سبعمائة من أتباع موسيس.

Church History about 700 by pseudo - Moses oF chorene (BHO 90 24 pp - 1040, 1041, 1147, cF. M. Vnr Esbroeck, Le,roi Sanatrouk et I,apotre Thaddee, REA 1972 266 FF)

وفى اللغة الإغريقية ـ لغة اليونان ـ ترتبط الأسطورة باسم «تدّاوس» Thaddaeus وقد تطورت مع الزمن إلى أن أصبح اسمها «سفر أعمال تداوس» فى القرن السادس الميلادى (ed R A Lipsius, Aa 1 273 - 278, cf. Fr. Halkin, BHG2, 1957 pp 264 - 266).

وليس من خطأ إذا افترضنا أن أسطورة آبجار، فى تاريخ يوسابيوس، هى التى كانت الأب الروحى لأعمال الرسل الخاص بتداوس، وقد كان هو واحدا من السبعين، أو واحدا من الحواريين الاثنى عشر. والحق: أنه واحد من الاثنى عشر [متى ١٠ : ٣] ـ وهو لبَّاوُس، الملقب تَداوُس ـ وينتمى إلى منطقة حول هاميديا Ha midiya على الشاطئ السورى، نحو بيروت Beirut وأرواد Arwad. ولا ينتمى إلى إيديسّا.

وقد ظن يوسابيوس أن ذلك يجعله هو الحوارى، المعروف فى التقليد السريانى باسم آداى Addai ولذلك وضع اسمه تداوس الذى ينطقه يوسابيوس فى فورلجه (read in his variage) وهو واحد من السبعين. وعلى ذلك أصبح «آداى» غير معروف له.

وقد اختلطت الأمور فيما بعد مع تداوس Thaddaeus واحد من السبعين،

وتداوس آخر. واحد من الاثنى عشر. وهذا جعل التقليد التاريخى لهذه الأسطورة، معقد للغاية.

الهدف والأصل:

إن المفتاح لحل لغز أسطورة آبجار، يكمن فى معرفة اسم الحوارى المرسل إلى إيديسًا وفى أصلها، والهدف من عناصر التماثل فيها التى أصبحت مفهومة، من الإطار التاريخى الدينى الشعبى، لتظهر شخصية أو صورة دعائية. فالقصة ما هى إلا سرد خيالى تاريخى، ولكنها ليست كاذبة؛ وذلك لأنها قد حصلت على شكلها وتطورها التاريخى، فى نهاية القرن الثالث الميلادى. الذى كانت فيه ظاهرة اختلاف المعانى؛ أخطر عدو للدين الصحيح.

لكن اسم الحوارى آداى، والعلاقة الوثقى بين الرسول آداى، والملك آبجار، وكذلك الدافع لوجود صورة عيسى - عليه السلام - التى رسمها له «حنان» الكاتب Hanan فى مدينة «أورشليم» Jerusalem وأحضرها إلى الملك آبجار. كل ذلك يمكن أن يعطى قوة كبيرة لهذه الشهادة. {ومن أجل المناقشة المفصلة: انظر: داريجفارز آداى ومانى}.

For detailed discussion see Drijvers Addai and Mani christentum und Manichaismus im dritter Jahrhundert in syrien, or chr. A 221 Rome 1983. 171 - 185, id Facts and Problems in Early Syriac - Speaking christianity the Second Century 2, 1982, 157 - 175 = id East of Antioch Studies in Early syriac christianity, London 1984, no. VI.

ورسول عيسى - عليه السلام - الذى له اسم «آدّاى» لم يعرف معرفة كافية قبل زمان يوسابيوس. ولأن الاسم كان غريبا على أسماع مؤرخ المسيحية، ذكر «تداوس» الذى هو واحد من السبعين مع أن الاسم السامى آداى Addai يظهر فى اليونانية بإضافة حرف السين فى آخره Adda (S) أو آدّايوس Addaios أو آداى or Addai انظر:

(see H. Wathnow, Die semitischen Mens chennamen in griechischen

Inschriften und Papyi des Vorderen orients 1930, p. 12).

وفى العهد المانشينى Manichean نجد أن «آداى» أو «آدا» هو واحد من أحسن المبشرين، الذين ينتمون إلى أصحاب «مانى» Mani المقربين إليه.

Addai or Adda

الذين كان تبشيرهم معه فى أرض سوريا. وقد كان هو مثل «مانى» فى شفاء الناس من أمراضهم. والدراسة حول هذين الرجلين المسمى كل منهما «آداى» تظهر نتيجة واحدة. هى أن «آداى» المسيحى اسم مستعار من «مانسيشيزم» Maniche-ism أما الرابطة بين عيسى ـ عليه السلام ـ وأبجار. فإنها كانت فى البدء من خلال تبادل الخطابات. و «يوسابيوس» يعرف خطابين منها. ومذهب «آداى» Doctrina Addai وحده هو واحد only one and teply from Jesus to Abgar من الدود، من عيسى ـ عليه السلام إلى آبجار، التى كتبت كلمة كلمة بيد «حنان» Hanan بشكل إملائى. وإن تبادل الخطابات، أو إظهار الكلام من الفم، لا يؤدى إلى اختلافات صعبة، وذلك لأن «حنان» يحضّر ما يمليه عيسى ـ عليه السلام ـ عليه. والاختلاف يكون فى طريقة الكتابة وفى مكانها، وفى شكل الخطاب. ومن المحتمل أن الشكل الأصلى للأسطورة كان له خطابين. ونقل خطاب عيسى ـ عليه السلام ـ إلى إجابة مكتوبة؛ يمكن أن يفسر على أساس أسباب عقائدية. وذلك لأن المسيح ـ عليه السلام ـ لم يكتب شيئا.

(Augstine, c. Faustum 28,4 Jerome in Ez. 44, 29 Decretum Gelasianum, ed von Dobschutz 1912,5,8,1,2)

ويزعم المانويون: أن عندهم خطابات من عيسى ـ عليه السلام ـ (أوغسطين Augustine,c Faustum 28.4) وأن «مانى» أيضا كتب خطابات كثيرة إلى أقوام، وإلى وجهاء من الناس. وكان جمع الخطابات جزءا من طقوس العبادة عند المانويين. ويحتفظ «كولوجن مانى كودكس» Coloqne Mani Codex ببعض أجزاء من خطاب وجهه «مانى» إلى أتباعه فى «إيديسّا»

{CMC 64 - 8 - 65 - 18. cf koenen - Romer, Der Kolner Mani Kodex (critical ed 1988) pp 42 FF)

وفيه يقوم «مانى» بتوضيح أنه هو البراكليت» الذى وعد المسيح أتباعه بمجيئه من بعده "paraclete" فى إنجيل يوحنا. الأصحاح السادس عشر. الآية السابعة والثامنة.

paraclete prophesied in Jn. 16: 7-8

«لكنّى أقولُ لكم الحقَّ: إنه خير لكم؛ أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق؛ لا يأتيكم المُعزِّى ـ الباراكليت ـ ولكن إن ذهبتُ؛ أُرسله إليكم. ومتى جاء ذاك؛ يُبكِّتُ العالَم على خطيّة، وعلى برّ، وعلى دينونة»

وبأنه هو طبيب أتى لشفاء الأجسام، من أرض «بابيلون» Babylik وهو بهذا يقتبس فهم استجابة «آبجار» لعيسى ـ عليه السلام ـ فآبجار يقول لعيسى ـ عليه السلام ـ: «من آبجار يوكاهاما إلى يسوع: إنك الطبيب العظيم الذى ظهر فى مدينة أورشليم» ونجد مثلها فى تصميم «مانى» نفسه على أنه هو الباراكليت. إذ يقول: «إننى فيزيائى physician من أرض بابيلون» وقوله هذا قاله فى خطابه إلى «شافور» ملك «ساسّانيد» Sassanid king shapur وكل قول من هذين، يدل على قوة الشفاء الخارقة للعادة، التى آمن بها «آبجار» و «شافور» إذ الشفاء من أى منهما، يدل ـ فى نظرهما ـ على أصل كل منهما الخارق للعادة. ورد عيسى ـ عليه السلام ـ على «آبجار» أكثر فائدة من غيره. وردّه؛ له مشابه من كلمات معروفة ومألوفة كانت من عيسى ـ عليه السلام ـ إلى «تُوما» الحوارى. فى إنجيل يوحنا الأصحاح العشرون، الآية التاسعة والعشرون وهى: «قال له يسوع: لأنك رأيتنى ياتوما؛ آمنت. طوبى للذين آمنوا، ولم يروْا» والكلمات المعروفة والمألوفة، لا توجد فى إنجيل غير هذا.

ووعد عيسى ـ عليه السلام ـ بمجيء «الباراكليت» من بعده، كما فى إنجيل

يوحنا الأصحاح السادس عشر، الآية السابعة والثامنة؛ هو الذى لعب دورا هاما فى وعى «مانى» بالوحى، وتأسيسه ما هو أفضل فى نظره للإيمان المسيحى.

لكنّ «آداى» وهو الرسول الموعود به بهذه الطريقة يأخذ موقفا مناقضا لـ «مانى» الذى كان أفضل رسول له، اسمه «آداى» إذ لو كان قوله أنا «الباراكليت» أساس ولب الإجابة، لما وجد مجالا للسؤال عن معنى كلمات مباركة «إيديسّا» أيضا فى هذا الموضوع. وظهور «الباراكليت» هو فى نفس الوقت؛ حكم على أمراء العالم. كما فى الأصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا الآية الحادية عشر «وأما على دينونة؛ فلأن رئيس هذا العالم؛ قد دين» ومن المحتمل أن يكون هو العدو، الذى لن يسود بعدُ، على «إيديسا» ولم يكن عدوا سياسيا، فالمقصود به فى نص الإنجيل هو «الشيطان» Satn وهذا أيضا يوضح أن الخطاب قد استخدم كتميمة سحرية. كما قيل من قبل.

فالتطبيق السياسى والتحليلى لهذه الكلمة الخاصة بالمباركة؛ يمكن أن يكون قد أتى بعد زمن من ظهورها.

وخطاب عيسى ـ عليه السلام ـ فى الرد على «آبجار» هو قول قاطع فى نفى ادعاءات أتباع «مانى» بأنه «الباراكليت» وأن «مانى» بعثهم إلى «إيديسّا» وذلك لأن عيسى ـ عليه السلام ـ وعد بإرسال واحد من حوارييه.

ومن الممكن أن نجد تفسيرا صحيحا للنفى، إذا حللنا فى إطار العمل: فعلاقة عيسى ـ عليه السلام ـ بـ «توماس» و «آداى» تقارن بعلاقة «مانى» توءم السماء، أو رفيقه إلى الحوارى الموكل بالشفاء نفسه. Manis, heavenly lwin

فتوءم مانى السماوى، وملابسه وشفائه المعجز، وادعائه الرسالة بأنها حقيقية؛ هى نفس المهمة بالضبط، التى أرسل جوداس توماس من أجلها آداى، إلى إيديسا. وتقارن بأنه عندما يصبح الملك آبجار من بعد شفائه هو السند القوى الوحيد لآداى. فإن هذا يوضح التشابه المحدود لدور «شافور» الذى كان مساندا لمانى ومذهبه. كما وضح الإنجيل والكنيسة.

والدافع الأخير لأسطورة آبجار، الذى يمكن أن يعطى تفسيرا آخر لغرضها المضاد لمانى: هو رسم صورة للمسيح من «حنان» وتقديمها منه إلى الملك آبجار.

وهى تقف فى مكان منعزل تماما فى مذهب آداى Doctrina Addai ولا يذكرها يوسابيوس. ربما لأن العقائد الدينية تحرم الصور فقد كان معترضا عليها من أب هذه الكنيسة {M.E vII 18. Epist ad Constantiam Aug. pG 20, 1545 see also S. Runciman. Some Remarks on the Image oF Edessa, CHJ 3, 1929 - 30, 238 - 252 k. schaferdiek Zu Verfasserschaft und Situation der Epistu {lna ad Constantiam De Imagine Christi, ZKG 91, 1980 177- 186}.

وله ملاحظاته حول الصور الخاصة بإيديسّا.

وإذا افترضنا أنه فى هذا الزمان كان يوجد دافع لرسم صورة المسيح، وأن الصورة قد قيل بها لتقوية الأسطورة فقد أسقط الدافع للخطاب، ويبقى الخطاب البديل أو الصورة كتطور للأسطورة؛ وذلك لأن الصورة يمكن إرجاعها إلى القرن السادس الميلادى.

von Dobschutz, Christusbilder, pp 105 FF, esp. p. 115, Averil Cameron, Thr History of the Image of Edessa: The Telling of a Story. Harvard {ukrainian studies 7, 1983, 89 - 94.

وليست هناك أسباب أكثر دقة، ضد الادعاء القائل بأن الصورة الخاصة بالمسيح؛ قد انتمت إلى النسخة الأصلية لأسطورة آبجار؛ لأن الناس فى إيديسّا لم يشهدوا بذلك فيما بعد.

وإذا قارنا بين الصورة فى خطاب عيسى - عليه السلام - ومانى - ففى أسطورة آبجار، نجد أن صورة عيسى تكون كأنها تأكيد خاص للتقرير الذى كتب كاملا بيد «حنان» عن الخطاب الخاص من عيسى فى الرد على آبجار. إن لم نقل إنها تكملة للمكتوب. أما صورة مانى فإن لها تأثيرا فى عبادة أتباع مانى، وتأثيرا فى المكتوب نفسه. فإنها قد وُضعت على أعلى مكان فى الكنيسة. كان فيه رسول النور نفسه يقوم بعمل «الباراكليت» وخصوصا مغفرة الذنوب. وقد رأى «يوسابيوس» صورة لمانى، الذى كان يُعظِّم من جانب أتباع مانى. وقد حكى ذلك فى خطابه إلى إمبراطورة القسطنطينية The portraic oF Jesus إمبراطورة القسطنطينية Empress constantia وصورة يسوع إلى آبجار in the Abgar.

وصورة عيسى - عليه السلام - فى أسطورة آبجار legend يمكن أن تُقوّم بتقويم حسن. وهو أنها تصوّر مسيحى لوجه مانى. وقد أعطيت كهبة إلى آبجار عن طريق حنان، الذى كان يسلمه رسالة من عيسى - عليه السلام - لإبطال ادعائه بأنه

هو «الباركليت».

وإن أسطورة آبجار هى وثيقة للدعاية إلى المسيحية نبعت تاريخيا فى «إيديسّا» فى نهاية القرن الثالث الميلادى فى الوقت الذى كان فيه أتباع مانى يقلّون، وكانت دعوته آخذة فى الانحدار بقوة، بسبب الأصوليين المسيحيين. حتى أنه فى وقت «أفرايم السريانى» Ephraem Syrus {Hymn. c. Hear. 22. 5.6}

كانت الأرثوذكسية ـ الأصولية ـ تسمى البالوشيون palutians باسم بالوت pa-lut الذى قد ذكر عند نهاية مذهب آداى Doctrina Addai كخليفة لـ «آجّاى» as the saccessor of Aggai أو كخليفة لـ «آدّاى» ونتيجة أسطورة آبجار تتفق اتفاقا تاما مع التقارير التاريخية لبدء المسيحية فى «إيديسّا» كما يحكي عنهم «كرونيكون أديسّيام» بقوله: «إن «ماركون» و «بارديسون» و «ماني» كانوا قد بثوا أفكارهم بقوة، من قبل الأرثوذكسيين، الذين قد وصلوا إليها متأخرين» Mani - Bardaisan - Marcion: see also W. Bauer, Rechtglaubigkeit unk ketzerei im altesten christentum 1964, pp. 6- 48, ET Orthodoxy and Heresy 1971, pp 1- 43

* * *

وأقدم نص لأسطورة آبجار التى نتكلم عنها: هو المذكور فى تاريخ الكنيسة ليوسابيوس. أبو الكنيسة. وقد ذكر من قبل أن يذكره؛ تقريرا خاصا بها. ثم من بعده شرع في رواية النص. وبعدما فرغ منه، عاد إلى قصصه، وبعدما أعطى موجزا للأسطورة، قدم للنص المحتوي على خطابين بما نصه:

«إن هذا الخطاب هو شهادة كتابية نقلتها من السجلات العمومية لمدينة إيديسّا التى كانت تحكم فى زمانه بواسطة ملك. وفى السجلات العمومية كل تاريخ المدينة وكل ما جرى للملك آبجار. وهى سجلات يحافظ أهل المدينة عليها من ذاك الزمان، إلى هذا الزمان. ولا يوجد من ننقل عنه سماعا ولذلك نقلناها من السجلات، وترجمناها ترجمة حرفية من اللغة السريانية بالنص الذى سنذكره».

* * *

وهذا هو نص الخطاب المكتوب من آبجار إلى عيسى ـ عليه السلام ـ الذى أرسله إليه فى «أورشليم» عن طريق «حنانياس» Ananias حامل رسائله:

«من آبجار فى يو كاما إلى عيسى المخلّص، الذى ظهر فى مدينة «أورشاليم»

محييا[1].

لقد سمعتُ عنك، وعن قوتك فى إبراء الناس الذى يتم منك بلا أدوية أو عشب. لأنه قد قيل: إنك تجعل العمى يرون مرة أخرى، وتجعل العرج يمشون، وتبرىء البرصى، وتطرد الأرواح الشريرة والشياطين، وتشفى هؤلاء المصابين بالأمراض لمدة طويلة من الزمن، وتحيى الموتى.

وعندما سمعت بأن كل ذلك؛ يحدث منك؛ آمنت بأنك الله، أتيت من السماء، من أجل هؤلاء الأشخاص.أو أنك ابن الله الذى يفعل هذه الأشياء.

والآن. اكتب، وأتوسل إليك؛ بأن تزورنى؛ لتشفينى من مرضى.

كما أنى سمعت أيضا: بأن اليهود يأتمرون بك؛ ليقتلوك[2]. والآن فإن لى مدينة صغيرة، ولكنها حسنة. وهى كافية، وملائمة لك»

* * *

والإجابة التى أرسلها عيسى ـ عليه السلام ـ عن طريق «حنانياس» حامل رسائله هى:

«إلى المبارك آبجار:

بوركتُ لأنك آمنت بى ولم ترنى[3]. إنه قد كُتب فى حقى: «إن الذين يرونى؛ لن يؤمنوا بى، وإن هؤلاء الذين لم يرونى؛ سيؤمنون بى، ويحيون»[4] وبخصوص ما كتبته لى فى أنه يجب عليّ أن آتى إليك؛ فإنه لمن الواجب على أن أعمل كل ما جئتُ من أجله. وبعدما أُتم ذلك؛ فإن الذى أرسلنى؛ سيأخذنى إليه مرة أخرى. وبعد ذلك؛ سأرسل إليك أحد الحواريين، وإنه سوف يشفيك، ويعطيك الصحة. أنت والذين معك»[5]

Copy of letter written by the toparch Abgar to Jesus, and sent to him at Jeusaiem by the hand of Ananias the courier:

Abgar Uchama the toparch to Jesus the good Saviour, who has ap-

(١) متى/ الأصحاح الحادى عشر، الآية الخامسة. ولوقا الأصحاح السابع الآية الثانية والعشرون «ونصها: «العُمى يُبصرون والبُرص يُطهّرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون».

(٢) إنجيل يوحنا/ الأصحاح السادس، الآية الحادية والأربعون ونصها: «فكان اليهود يتذمرون عليه»

(٣) يوحنا/ الأصحاح العشرون، الآية التاسعة والعشرون ونصها: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا»

(٤) سفر إشعياء ٦: ٩ و ٥٢: ١٥ أيضا: متى ١٣: ١٤ يوحنا ١٢: ٣٩ أعمال ٢٨: ٢٥

(٥) يوحنا ١٦: ٥ ـ ١٥ «وأما الآن فأنا ماض إلى الذى أرسلنى.. إلخ»

peared in the city of Jerusalem, greeting. I have heard of thee and of thy healings, that they are done by thee without drugs and herbs. for as it is said;thou dost make blind men see again and lame walk; and dost cleanse lepers,and cast out unclean spirits and demons, and heal those tormented by long disease, and raise the dead. And when I heard all these things about thee, then I concluded that either either thou art God come down from heaven to do them, or thou art the son oh God, who doest these things. Therefore now I write and beseech thee to visit me, and heal the affliction which I have. Moreover I have heard that the Jews murmur against thee, and wish to do thee inJury.Now I have acity, small indeed but noble, which is sufficient for both.

The reply sent by Jesus, by the hand of Ananias the courier,to the toparch Abgar:

Blessed art thou,who hast believed in me without having seen me. For it is written concerning me, that they who have seen me will not believe in me, and that they who have not seen me shall believ and live. but concerning what thou hast written to me, that I should come to thee, it is necessary that I fulfil here all for which I was sent. And after this fulfilment be taken up again unto him who sent me.And when I am taken up, I will send to thee one of my disciples, that he may heal thine affliction and give life to thee and them that are with thee.

وهذه الخطابات كان يرافقها ما نصه باللغة السريانية:

بعد نزول وظهور عيسى ـ عليه السلام ـ ارسل إليه «جيوداس» المسمى أيضا «توماس» الحوارى «تداوس» وهو واحد من السبعين[١]. وقد ذهب ونزل فى بيت «طوبياس ابن طوبياس» الذى عندما سمع الأخبار الجديدة. التى أتى بها، اخبر «آبجار» بأن رسولا من عند عيسى ـ عليه السلام ـ قد وصل. كما كتب إليه. وعندئذ ابتدأ «تداوس» بقوة الله فى شفاء الناس من كل مرض وضعف[٢]، لدرجة

(١) إنجيل لوقا الأصحاح العاشر. الآية الأولى. وفى إنجيل بارنابا: عددهم اثنان وسبعون.
(٢) متى ٤: ٢٣و ١٠:١.

أذهلت جميع الناس. وعندما سمع «آبجار» بالآيات والعجائب العظيمة التى فعلها، وكيف أبرأ الناس من أدوائهم، ابتدأ أن يشك فى أنه هو هذا الرجل الذى كتب عنه عيسى ـ عليه السلام ـ قائلا:

بأنه سيشفيك من مرضك، ويعطيك الصحة. فلذلك أرسل إلى «طوبياس» الذى يقيم معه فى بيته، وقال له: إننى قد سمعت بأن رجلا مقتدرا فى القول والفعل قد نزل عندنا ويقيم فى بيتك، فأحضره إلىّ. فأتى «طوبياس» إلى «تداوس» وقال له: إن آبجار المبارك قد أرسل إلىّ، وأخبرنى بأن آخذك إليه، لأنك ربما تشفيه. ورد عليه تداوس بقوله: إننى ذاهب إليه، لأننى قد أُرسلت إليه بقوة.

وفى اليوم التالى؛ نهض« طوبياس» فى الصباح الباكر، وأخذ معه «تداوس» وانطلقا إلى « آبجار» وفى وقت دخوله عليه، وكان كبار رجال مملكته موجودين. ظهر فجأة فى وجه «تداوس» صورة عظيمة، رآها آبجار وحده، ولم يُظهر أنه رآها. وقد اندهش كل الذين كانوا واقفين من حوله، لأنهم لم يروا[١] هذه الصورة. التى ظهرت لآبجار وحده.

وسأل أبجارُ تداوسَ: هل حقا أنت حوارى عيسى ابن الله، الذى قال لى: سأرسل إليك [٣]واحدا من الحواريين، وسيشفيك من مرضك، ويمنحك الصحة؟ وأجابه تداوس بقوله: لأنك تؤمن حقا بالذى أرسلنى. فإننى قد أُرسلت إليك. وفوق ذلك فإن ما بقلبك من حيرة؛ سوف يزول، إذا كنت تؤمن.

فقال له آبجار: إننى أؤمن به إيمانا صادقا عن يقين، لدرجة أننى كنت سآخذ جنودا، لإهلاك اليهود الذين صلبوه. وما منعنى من إهلاكهم، إلا سيادة روما عليهم.

وقال له تداوس: إن السيد المسيح قد أنفذ وصية والده، وأنا أومن به، وبوالده. وقال تداوس: ولهذا السبب فإنى أضع يدى عليك، باسمه. ولما وضع يديه عليه، أبرأه الله من المرض الشديد الذى كان يعانى منه أشد المعاناة.

وقد اندهش آبجار لما سمع بمعجزات عيسى ـ عليه السلام ـ وتأكد منها بشفاء الحوارى تداوس له بدون أدوية أو عُشب.

---

(١) سفر الأعمال ٩: ٣ـ٧

(3) of - communication by letter as in I car. 7:6,11:22and often in paul.

الترجمة: الرسالة الأولى لكورنتوس الأصحاح السادس الآية الخامسة وما بعدها..

ولم يشفه هو وحده. فإن « آبدوس ابن آبدوس» Abdus الذى كان هو أيضا مريضا، أتى وتضرع إليه. فشفاه تداوس بصلواته ووضع يديه عليه. وكثيرون من الناس شفاهم، ودعاهم إلى كلمة الرب، بهذه الأعمال العجيبة.

ولذلك قال آبجار لتداوس: إنك تفعل هذه الأمور بقوة الله. ونحن قد امتلأنا عجبا. وأتوسل إليك أن تخبرنى عن مجىء عيسى - عليه السلام - مرة أخرى، وعن قوته، وبأى وسيلة فعل هذه العجائب التى سمعتُ عنها. فقال تداوس: الآن لا أتكلم. فإنى قد أرسلت لإتمام الشفاء. وغدا اجمع لى كل الناس لأخطب فيهم وأعظهم وأعلمهم كلمة الحياة. فى كل ما يختص بعيسى - عليه السلام - كيف أتى؟ وما هى رسالته؟ ولأى سبب أرسله والده؟ وكل ما يتعلق بقوته وأعماله، والأشياء الغامضة التى أعلن عن حدوثها فى العالم. وبأى طريقة من طرق القوة كان يفعل هذه الأشياء؟ وما هو تبشيره الجديد؟ وكيفية تواضعه وتذلله. وأنه تواضع من أجل الناس، وجاد بنفسه على الصليب، ونزل إلى الجحيم، وكسر الحاجز الذى بقى بدون كسر من الأزل، وقام من الأموات، حين نزل، ولكنه بحفاوة كبيرة؛ صعد إلى أبيه.

وعندئذ أمر آبجار بأنه فى صباح اليوم التالى، لابد أن تحضر كل رعيته، لتستمع إلى وعظ تداوس. وأمر بإعطائه ذهبا كثيرا. ولكنه رفض قائلا: إذ نحن قد رفضنا الدنيا[1]، فكيف يمكننا أن نأخذ مال غيرنا؟

وقد حدث ذلك فى السنة الثلاثمائة والأربعين[2].

ونتيجة كل ما ذكر:

هو عن طريق رواية يوسابيوس. هذه الأسطورة قد ترجمت حرفيا لهذا السبب من اللغة السريانية. وربما تجد مكانها الصحيح.

{ تم الكلام المترجم }

(١) «تركوا كل شىء وتبعوه»

(٢) (2)=28/29.A.D.

الفرق بين
النّصرانية والمسيحية

الذين كتبوا من قبلى فى علم مقارنة الأديان كانوا يعتقدون أن النّصرانية والمسيحية شىء واحد، يدل على الدين المنسوب الآن إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام. والحق: أن النصرانية غير المسيحية. وأن مذهب النصارى غير مذهب المسيحيين. والنصارى هم الذين كانوا فى الزمان من عيسى إلى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م والمسيحيون هم الذين من مجمع نيقية إلى هذا الزمان.

ويبدأ المسيحيون تواريخهم من مجمع نيقية سنة ٣٢٥م بعد هزيمة النصارى وتفرقهم فى البلاد. ثم يكذبون على الأميين بقولهم: إن مذهبنا هو مذهب يسوع المسيح نفسه، كيف ولم يكن يسوع هو «المسيح»؟

يجيبون بقولهم: إن يسوع هو المسيح،وإنه هو المؤسس الأول لكنائسنا. إما بنفسه، وإما بإرساله للتبشير واحدا من تلاميذه الأخصّاء الاثنى عشر. والمدة من حياته على الأرض إلى مجمع نيقية؛كانت فيها كنائسنا موجودة على ما هى عليه الآن. هذه هى إجابتهم. ليثبتوا التواتر من زمانه إلى نيقية، وإلى هذا اليوم.

وأهل العلم يعلمون: أن المدّة من زمان يسوع إلى زمان نيقية. لم تكن فيها كنائس مسيحية على الإطلاق :وإنما كان فيها مجامع يهود آمنوا بأن عيسى رسول من الله للتبشير بمحمد رسول الله. مع عملهم بشريعة موسى وتدريس شريعة موسى فى المجامع لطلاب العلم. وإن أنت أردت أن تعلم هذا، فاقرأ عن أخبار كنيسة السريان. وسوف تعلم أنهم يكتبون على سبيل الظن. وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا.

وهذا هو البيان:

أولا: إن موسى عليه السلام سلم التوراة لبنى إسرئيل، ليهدوا بها الأمم إلى الله، ووصاهم بأنه لن ينسخها نبى منهم، وبأن الله سيرسل إليهم بعد زمان: نبيا. مثله. له يسمعون ويطيعون. وجعل من علاماته: أنه إذا تكلم هذا النبى عن غيب، ووقع كما قال، فإنه يكون هو النبى الصادق. ولذلك يؤمنون به ويتبعونه.

ويتركون شريعة التوراة. ذلك قوله: « يقيم لك الرب إلهك: نبيا. من وسطك. من إخوتك. مثلى. له تسمعون. . .إلخ» { تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢ }

وهذا النبى الأمى سيكون من بنى إسماعيل ـ عليه السلام ـ كما كان موسى من بنى إسحق. وذلك لتتحقق فى الأمم، بركة إبراهيم بولديه إسماعيل وإسحق ـ عليهما السلام ـ لكن بنى إسرائيل رأوا أن تستمر الشريعة فيهم. ولذلك لبسوا الحق بالباطل فى نصوص التوراة الدالة على النبى الآتى من بنى إسماعيل، وحرفوا الكلم من بعد مواضعه. وأذاعوا فى الأمم: أن النبى الآتى سيكون من بنى إسرائيل من سبط يهوذا، من نسل داود، أو سيأتى من سبط يوسف من نسل أفرايم ابنه. وأطلقوا على هذا النبى. لقب « المسيّا الرئيس» ولقب « المسيح المنتظر» ليوهموا العالم بأنه سيأتى منهم أنفسهم[١].

و« المسيح» هو نفسه « المسيا» وهو نفسه « النبى » وكان من عادتهم مسح الأشياء المقدسة بزيت مقدس، أو دهن. وكانوا يمسحون بالزيت أو بالدهن كل نبى أو عالم أو ملك. ثم انتقلت كلمة « المسيح » من الممسوح على الحقيقة إلى المعنى المجازى وهو الآتى من الله لأداء رسالة مقدسة، حتى ولو لم يمسح. فيقولون: موسى مسيح الله. أى مصطفى من الله. وعيسى مسيح الله. إى مصطفى من الله. وقوروش الفارسى الملك. مصطفى من الله، لإنقاذ اليهود من أهل بابل، ولإرجاعهم إلى فلسطين. وهكذا فى الأنبياء والعلماء والملوك. وعندهم إذا أطلقت الكلمة بالألف واللام فإنها تدل دلالة قاطعة على النبى الذى سيأتى على مثال موسى عليه السلام ولذلك قالت المرأة السامرية لعيسى عليه السلام: « أنا أعلم أن مَسِيا. الذى يقال له المسيح، يأتى. فمتى جاء ذاك، يخبرنا بكل شىء » { يو ٤: ٢٥ } وقالت لقومها: « هلموا انظروا إنسانا قال لى كلّ ما فعلت. ألعل هذا هو المسيح؟ » {يو ٤:٢٩}

وعيسى عليه السلام مسيح. ونبى. ورسول من الله. لكن ليس هو « المسيح» وليس هو «النبى» وليس هو « الرسول » ومثل ذلك. مثل ملك مصر، وملك الحجاز، وملك العراق، وإذا كانوا كلهم تحت رئيس عليهم، فإنه يطلق على هذا

(١) راجع كتاب البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل ـ نشر دار البيان العربى بالقاهرة ونشر دار الجيل ببيروت.

الرئيس لقب « الملك » لا «ملك » فالملك شيء، وملك شيء آخر.

وعلى هذا المعنى جاء فى القرآن الكريم عن محمد ﷺ :﴿يأيها النبى ﴾ أى النبى المعهود والمعروف للعالم من ذكره فى التوراة والإنجيل. ﴿ يأيها الرسول ﴾ أى الرسول المنبه عليه من قبل ظهوره. وجاء فى القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام: ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم﴾ ،أى النبى الذى لا يعرف فى العالم إلا بمجموع الثلاثة. وهم: المسيح اللقب، وعيسى الاسم، وابن مريم الصفة. لا يعرف إلا بالاسم واللقب والصفة. فهو مسيح مثل إلياس واليسع وهارون ويحيى وزكريا. ولكن ليس هو المسيح المنتظر بلغتهم.

وفى هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾وقد جاء فى الإنجيل: أن عيسى عليه السلام بشر بمحمد ﷺ بلقب «المسيح » حسب لسانهم. ومن قوله:

١ـ « ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟...»

٢ـ « وأما أنتم فلا تُدعَوْا سيدى، لأن معلمكم واحد المسيح. وأنتم جميعا إخوة. ولا تدعوا لكم أبا على الأرض، لأن أباكم واحد الذى فى السموات، ولا تدعوا معلمين، لأن معلمكم واحد، المسيح. وأكبركم يكون خادما لكم ...»

٣ـ « فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين: أنا هو المسيح، ويضلون كثيرين...»

٤ـ « حينئذ إن قال لكم أحد: هو ذا المسيح هنا، أو هناك، فلا تصدقوا، لأنه سيقوم مسحاء كذبة، وأنبياء كذبة...»

وكل ذلك واضح من قراءة الأصحاح الثانى والعشرين من إنجيل متى وما بعده.

ويقول علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى: إن «المسيح المنتظر» هو نفسه « النبى » المكتوب عنه فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية فى هذا النص:

« يقيم لك الرب إلهك: نبيا. من وسطك. من إخوتك. مثلى. له تسمعون...

أقيم لهم: نبيا. من وسط إخوتهم. مثلك. وأجعل كلامى فى فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به

باسمى، أنا أطالبه. وأما النبى الذى يُطغى، فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبى. وإن قلت فى قلبك: كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟

فما تكلم به النبى باسم الرب، ولم يحدث، ولم يصر؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى، فلا تخف منه » { تث ١٨ :١٥ـ ٢٢ } وهذا النص هو الذى أخذ منه لقب« المسيح المنتظر » أو « المسيا الرئيس» أو «النبى الأمى » .

وفى إنجيل يوحنا: أن النبى يحيى عليه السلام أنكر أنه هو ذلك النبى.

فإنهم لما سألوه: ألنبى أنت؟ أجاب بقوله: لا. لست أنا ذلك النبى. ثم قال: « يأتى بعدى من هو أقوى منى، الذى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه » { يو١ : ١٩ ـ مرقس: ٧ ـ } ثم قام هو وعيسى عليه السلام بتعميد التائبين فى نهر الأردن، ليقبلوا النبى الأمى الآتى من بعدهما. ففى الإنجيل: «وبعد هذا جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية، ومكث معهم هناك، وكان يعمد، وكان يوحنا أيضا يعمد فى عين نون، بقرب ساليم، لأنه كان هناك مياه كثيرة، وكانوا يأتون ويعتمدون » {يو ٣: ٢٢ ـ ٢٣}

وبناء على ما تقدم حسب لسان بنى إسرائيل: فإنه إذا كانت فكرة « المسيح المنتظر» العالمية أصلها ودليلها هو قول موسى: « يقيم لك الرب إلهك: نبيا. . .إلخ» فإن « المسيح المنتظر » يكون هو محمدا رسول الله ﷺ .

وكل علماء المسلمين الذين كتبوا من قبلى فى علم مقارنة الأديان كتبوا: أن قول موسى: « يقيم لك الرب إلهك: نبيا... إلخ» يدل على محمد ﷺ ويشير إليه. ومنهم شيخ الإسلام الإمام فخر الدين الرازى. وابن تيمية. وابن قيم الجوزية. والنويرى. وابن ظفر. والإمام الطبرسى الإمامى الجعفرى الشيعى فى تفسيره. ورحمت الله الهندى. والألوسى. وصاحب تفسير المنار. وكثيرون من العلماء.

ثانيا: لما ظهر المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فى بنى إسرائيل ـ وهو آخر نبى فيهم ـ ظهر ليطبق نبوءات التوراة عن النبى الأمى الآتى على محمد ﷺ وليبشر بظهوره من بعده. وقد طبقها نبوءة نبوءة على محمد. وعمل بكل أحكام

التوراة الفقهية، وصرح بأنه غير ناسخ للتوراة. والأناجيل الأربعة تدل على ذلك بأجلى بيان للراسخين فى العلم:

١ـ أما أن عيسى عليه السلام لم ينسخ التوراة، فلقوله: « ما جئت لأنقض الناموس» [متى٥: ١٧]

٢ـ وأما أن عيسى عليه السلام طبق نبوءات التوراة كلها عن النبى الآتى على محمد ﷺ فإن ذلك واضح مما كتبه النبى دانيئال. فقد كتب فى سفره عن قيام أربعة ممالك على الأرض. وبعد الرابعة يظهر « ابن الإنسان » ليؤسس مملكة لا تنقرض أبدا. وواضح مما كتبه النبى داود. فقد كتب عن نزع ملكوت الله من بنى إسرائيل إلى أمة أخرى، على يد المبارك الآتى باسم الرب.وواضح مما كتبه النبى إشعياء، فقد كتب عن أمة، ستخلف بنى إسرائيل، فى قيادة الأمم إلى الله: «ويكون الجميع متعلمين من الله » وواضح مما كتبه النبى حجاى. فقد كتب عن مشتهى الأمم التى تترجم « حِمْدَه» وكثيرون غيرهم قد كتبوا. والمسيح عيسى عليه السلام قد طبق المكتوب على محمد ﷺ . وأذكر أمثلة ههنا للبيان:

نبوءة حَبَقُّوق: ولها صلة بما فى تك ٢١: ٢١ تث ٣٣: ٣

النص: « يارب قد سمعتُ خبرك، فجزعت. يارب عملك فى وسط السنين أحيّه. فى وسط السنين عرّف. فى الغضب اذكر الرحمة.

الله جاء من تيمان،والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السموات. والأرض امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور، له من يده شعاع. وهناك استتار قدرته. قدامه ذهب الوبأ. وعند رجليه خرجت الحمى. وقف وقاس الأرض. نظر فرجف الأمم، ودكت الجبال الدهرية، وخسفت آكام القدم. مسالك الأزل له. رأيت خيام كوشان تحت بلية، رجفت شقق أرض مديان. . . » [حب ٣: ٢]

قوله: إن مجد الله جاء من جهة الجنوب، ومعه القدوس من جبل فاران. معناه: أن شريعة الله تظهر مع القدوس من ناحية جنوب فلسطين. والقدوس هذا هو النبى الأمى المماثل لموسى. وهو محمد ﷺ وذلك لقوله: «وكان الله مع الغلام فكبر، وسكن فى البرية، وكان ينمو رامى قوس، وسكن فى برية فاران» [تك ٢١: ٢١] أى أن إسماعيل المبارك فيه سكن فى برية فاران، وأن القدوس سيأتى من نسله. وقد بين موسى نفسه أنه فى فاران ستظهر بركة لإسماعيل. فيها

ملك ونبوة. مثل بركة بنى إسرائيل التى ابتدأت من سيناء بشريعة التوراة « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران. وأتى من ربوات القدس. وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه فى يدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك» [تث ٣٣: ٣]

فمجيء الرب من سيناء: هو إشارة إلى شريعة موسى. والإشراق من سعير: هو إشارة إلى تفسير علماء بنى إسرائيل للتوراة فى ناحية الأردن وفلسطين. والتلألؤ من جبل فاران: هو إشارة إلى شريعة محمد ﷺ ثم التفت إلى محمد فقال: إنه محب الشعوب، وأتباعه في طاعته.

نبوءة حَجّاى:

« لأنه هكذا قال رب الجنود: هى مرة بعد قليل. فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة، وأزلزل كل الأمم، ويأتى مشتهى كل الأمم، فأملأ هذا البيت مجدا. قال رب الجنود. لى الفضة ولى الذهب. يقول رب الجنود. مجد هذا البيت الأخير، يكون أعظم من مجد الأول. قال رب الجنود. وفى هذا المكان أعطى السلام. يقول رب الجنود » [حجى ٢: ٧ـ٩]

« ويأتى مشتهى كل الأمم » هى فى اللغة العبرانية القديمة، والأرامية. أصلها: «حمْدْ» وتلفظ الميم بدون التسكين « حمِدْ» مما يعنى فى العبرية: « الأمنية الكبيرة» أو «المشتهى» أو « ما يتوق إليه المرء » وفى اللغة العربية يأتى الفعل « حَمدَ »من جذر الكلمة نفسها « ح م د » بمعنى « الإطراء والمديح » فيكون « أحمد »[1] .

وكل علماء اليهود والنصارى يقولون: إن هذه النبوءة، نبوءة مسيحانية Messianic أى تدل على النبى الأمى الآتى إلى العالم على مثال موسى. واليهود يقولون: هو لم يأت بعد، والنصارى يقولون: إنه هو عيسى عليه السلام

ويرد عليهم: بأن «مجد هذا البيت الأخير، يكون أعظم من مجد الأول» فهما بيتان. البيت الذى هو هيكل سليمان. والبيت الذى هو الكعبة فى مكة المكرمة.

(١) كتاب محمد لعبد الأحد داود الأشورى ـ دار نهضة مصر بالقاهرة .

وحولها أبناء إسماعيل المبارك فيه من الله.

وبأن زلزلة السموات والأرض والبحر واليابسة وكل الأمم تدل على حروب شديدة تقوم على الأرض لنزع الملكوت من بنى إسرائيل، تحقيقا لقول عيسى نفسه لهم: « إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره »[متى ٢١]

وبأن مشتهى كل الأمم سيعطى السلام للعالم من البيت الأخير. والمسيح عيسى لم يعط شريعة هى سلام للعالم من مكة المكرمة، وتنبأ بخراب هيكل سليمان من بعده، فى قوله: « هو ذا بيتكم يُترك لكم خرابا» [متى ٢٤ ومرقس ١٣ ولوقا ٢١] ومشتهى كل الأمم الذى هو « أحمد» لابد أن يظهر من بنى إسماعيل، لأن الله أعطاه بركة، وجعله وارثا فى إبراهيم. ذلك قوله: « وأما إسماعيل. فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه» وقوله: «بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة، لأنه نسلك» وقوله لإبراهيم: « وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض»

وهذه النبوءة قد طبقها عيسى ـ عليه السلام ـ على محمد ﷺ فقد نطق باسم « أحمد » فى إنجيل يوحنا **periqlytos** بـــركليتوس. وغير النصارى النطق إلى **paraclete** باركليت أى المعزّى، أو النائب عن عيسى عليه السلام. ومن كلامه عليه السلام: « إن كنتم تحبوننى، فاحفظوا وصاياى. وأنا أطلب من الآب، فيعطيكم مُعزيا آخر. ليمكث معكم إلى الأبد . . . » [يو ١٤ : ١٥ ـ] وقال لبنى إسرائيل: «لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض، ما جئت لألقى سلاما، بل سيفا. . .» [متى ١٠ : ٣٤ـ]

وقال لبنى إسرائيل: إن مشتهى كل الأمم الذى لقبه دانيال بابن الإنسان سيأتى قريبا من بعدى: « الحق أقول لكم: لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله. السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول» [مت ٢٤ : ٣٤ ـ ٣٥]

وقال لبنى إسرائيل عن الزلزلة فى مجئ مشتهى كل الأمم: « لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم، لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن، ولن يكون» [مت ٢٤ : ٢١]

وقال لبنى إسرائيل: « ياأورشليم. يا أورشليم. يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. كم مرة أردتُ أن أجمع أولادك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا. هو ذا بيتكم. يترك لكم خرابا. لأنى أقول لكم: إنكم لا

ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب. ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل. فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل. فقال لهم يسوع: أما تنظرون جميع هذه؟ الحق أقول لكم: إنه لا يترك ههنا حجر على حجر، لا يُنقض» {متى ٢٣: ٣٧ _ }

ومبارك الآتي باسم الرب: نبوءة عن محمد ﷺ في المزمور المئة والثامن عشر. وعيسى عليه السلام يقول: إنه سيأتي. وإذا أتى، فإنكم ترونني في شخصه، لأن دعوته دعوتي، وهدفه هدفي. فإننا من الله، وإلى الله ندعو. ويقول النصارى: إن الأصحاح الستين من سفر إشعياء يتكلم عن مشتهى كل الأمم «حمد» المذكور في سفر حجاي. والنص هو: « ارفعي عينيك حواليك، وانظري. قد اجتمعوا كلهم. جاءوا إليك. يأتي بنوك من بعيد. وتُحمل بناتك على الأيدي. حينئذ تنظرين وتنيرين، ويخفق قلبك، ويتسع. لأنه تتحول إليك ثروة البحر، ويأتي إليك غنى الأمم. تغطيك كثرة الجمال. بُكران مديان وعيفة. كلها تأتي من سبأ. تحمل ذهبا ولبانا، وتبشر بتسابيح الرب. كل غنم قيدار تجتمع إليك. كباش نبايوت تخدمك، تصعد مقبولة على مذبحي. وأزين بيت جمالي. مَنْ هؤلاء الطائرون كسحاب، وكالحمام إلى بيوتها؟

إن الجزائر تنتظرني، وسفن ترشيش في الأول لتأتي ببنيك من بعيد. وفضتهم وذهبهم معهم، لاسم الرب إلهك وقدوس إسرائيل، لأنه قد مجدك» { إش. ٦٠: ٤_ ٩ }

ثالثا: لما خالف عيسى عليه السلام علماء بني إسرائيل في موضوع « النبي الأمي الآتي إلى العالم على مثال موسى» هم يقولون: إنه سيأتي من بني إسرائيل. وهو يقول: إنه سيأتي من بني إسماعيل. أطلق عليه علماء بني إسرائيل لقب « هانصري » استهزاء به ، وتحقيرا من شأنه. أي الرجل الذي لا يُرجى من وراءه خير. وقد تفاخر هو بهذا اللقب وغلب عليه وعلى أتباعه فيما بعد. وسموا بالهانصريين. أي المحتقرين والمنبوذين من قومهم. ثم نُطقت الهانصريين : «نصارى» وعلى طول الأيام انفصلت طائفة الهانصريين عن طائفة اليهود العبرانيين. وعرفت بطائفة النصارى .

واليهود طائفة تعظم التوراة، وتعمل بها إلى أن يأتي « المسيح المنتظر» الذي

هو النبى الأمى المماثل لموسى. على أساس أنه سيظهر من اليهود. والنصارى طائفة تعظم التوراة وتعمل بها إلى أن يأتى « المسيح المنتظر» الذى هو النبى الأمى المماثل لموسى. على أساس أنه سيظهر من بنى إسماعيل، من نسل هاجر ـ رضى الله عنها ـ هذا هو الفرق بين الطائفتين. وليس من فرق غيره. إلاّ فرق لا صلة له بالنبى الآتى. وهو أن النصارى رفضوا العمل بالسنة النبوية التى يقول اليهود أنهم تسلموها عن نبى الله موسى، ويسمونها تقاليد الشيوخ. وفى هذا المعنى جاء فى القرآن الكريم: ﴿ ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون: نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين﴾

رابعا: كان بنو إسرائيل ومن دان بدينهم من الأمم منتشرين فى العراق بين نهرى دجلة والفرات، وفى إيران، وفى سوريا، وفى الأردن وفى مصر، وفى اليمن، وفى أماكن كثيرة من العالم. وفى كل بلد ومكان كان يوجد مجمع دينى، هو قبلة للسائلين عن الله من جميع الأمم والشعوب. وكان علماء اليهود فى هذه المجامع يكتبون التوراة بأيديهم، ويلوون ألسنتهم بالكتاب. وقد حث المسيح عيسى عليه السلام أتباعه على الانطلاق فى بلاد الله ليعرفوا علماء اليهود فى مجامعهم والأمم بأن « ملكوت الله» قريب، وسيكون فى بنى إسماعيل، والنبى الذى سيؤسسه على الأرض اسمه « أحمد» ذلك قوله: « اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. وفيما أنتم ذاهبون، اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ١٠: ٦-]

وقد انطلقوا وكرزوا. وانقسم المؤمنون على شريعة موسى إلى قسمين قسم مع اليهود، وقسم مع النصارى. وكان أهل الروم فى القرن الميلادى الرابع يرون رأى ينصرون اليهود، فى النبى الأمى الآتى. وينصرونهم ولا ينصرون النصارى. وذلك لأنهم يملكون على العالم وقتئذ، ويريدون استمرار الملك فيهم إلى الأبد، ولا يريدون تركه لبنى إسماعيل. ولم يرفعوا أذاهم عن النصارى إلا فى الوقت الذى رضى فيه النصارى بأن يكونوا مثل اليهود فى إنكار ملك بنى إسماعيل ونبوتهم. وهم قد رضوا بسبب كثرة القتل الذى وقع فى طائفتهم، من أهل الروم. وغيروا رأيهم فقالوا:

إن النبى الآتى على مثال موسى، ليس هو محمدا رسول الله. كما قال آباؤنا. وليس هو نبى لم يأت بعد. كما يقول اليهود. بل هو عيسى نفسه، وقد أتى . وسوف يأتى مرة أخرى عند انقضاء الحياة الدنيا فى آخر الزمان. وعيسى على هذا الرأى؛ ليس هو « مسيح» بل هو« المسيح المنتظر» ليس هو « نبى » بل هو « النبى» ليس هو «مسيا» بل هو «المسيَّا» ليس هو «ابن لله» بل هو « ابن الله» ليس هو ابنا على المعنى المجازى. بل هو « الابن» على المعنى الطبيعى الحقيقى. ليس هو « ابن إنسان» بل هو «ابن الإنسان» ليس هو « إله» بمعنى سيد، على المعنى المجازى. بل هو« الإله» على المعنى الطبيعى الحقيقى.

وكان ذلك فى القرن الرابع الميلادي. ومن عيسى عليه السلام إلى القرن الرابع كان كل أتباعه على رأيه، المدون إلى هذا اليوم فى الأناجيل الأربعة وهو الدعوة إلى الدخول فى دين محمد إذا جاء. وأتباعه يُلقبون بالنصارى. فالنصارى شىء، والمسيحيون شىء آخر.

والنصارى هم الذين كانوا ينتظرون محمدا. والمسيحيون هم الذين لاينتظرونه. ولذلك طبقوا نبوءات التوراة على عيسى وزعموا: أنه هو المسيح.

فإذا قالت طائفة النساطرة: إن عاداتنا وتقاليدنا وشعائر ديننا قد تسلمنا كل ذلك من «توما» الحوارى. وأن «توما» هو واحد من التلاميذ الاثنى عشر الذين هم: بعد سمعان بطرس ـ أندراوس ـ يعقوب بن زَبَدى ـ يوحنا ـ فِيلُبُّس ـ بَرثُو لَمَاوس ـ تُوما ـ متّى ـ يعقوب بن حَلْفَى ـ لَبَّاوس الملقب تَدَّاوُس ـ سمعان القانَوى ـ يهوذا الإسخَرْيُوطى.

إذا قالوا هذا؛ فإنهم يكونون من الكذابين؛ وذلك لأن التثليث لم يظهر فى العالم إلا فى القرن الرابع. فإن نبوءة «الابن» قد طبقت فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ونبوءة «الروح القدس» قد طبقت فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م ومن بعد هذا المجمع ظهر الاصطلاح المعروف وهو «الآب والابن والروح القدس» فكيف يبشر «توما» تلميذ عيسى فى بلاد النّاطرة، بما لم يكن إلا من بعده بقرون؟

وإذا قال الأحباش إننا قد تسلمنا من «فيلبس» وإذا قالت طائفة الملكانية ـ الذين هم الكاثوليك والبروتستانت الآن ـ إن عاداتنا وتقاليدنا وشعائر ديننا. قد تسلمنا كل ذلك من «بطرس» وإذا قالت طائفة اليعقوبية ـ الذين هم الأرثوذكس

الآن ـ إن عاداتنا وتقاليدنا وشعائر ديننا؛ قد تسلمنا كل ذلك من «مَرقس» وهو واحد من التلاميذ السبعين، يقال لهم جميعا: إن العقائد المسيحية الموجودة معكم لم تكن فى العالم من قبل القرن الرابع. فكيف تنسبون التبشير فى البدء على عقائدكم هذه إلى توما وبطرس ومرقس؟

ولماذا تختلف القداسات والقرابين وأسرار الكنائس إذا كنتم أنتم كلكم قد تسلمتم من عيسى أو حوارييه؟ وما هو السبب فى اختلاف زى القساوسة والشمامسة والكرادلة؟ ولماذا اختلفتم عن اليهود وأنتم طائفة منهم؟ ألم يقل المسيح: «ماجئت لأنقض الناموس»؟

خامسا: والألقاب الخاصة بالنبى الأمى الآتى على مثال موسى لم توضع على عيسى عليه السلام إلا فى القرن الرابع الذى كتب فيه سفر أعمال الرسل. ومن ذلك:

١ـ لقب «النبى الأمى» :

طبقه كاتب سفر الأعمال على لسان بطرس هكذا: «فإن موسى قال للآباء: إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون فى كل ما يكلمكم به. ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب. وجميع الأنبياء أيضا من صموئيل فما بعده. جميع الذين تكلموا؛ سبقوا، وأنبأوا بهذا الأيام. أنتم أبناء الأنبياء والعهدِ الذى عاهد به الله آباءنا قائلا لإبراهيم:

«وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض» إليكم أولا إذْ أقام الله فتاه يسوع؛ أرسله يُبارككم بردّ كل واحد منكم عن شروره» {أعمال ٣: ٢٢ ـ ٢٦}

٢ ـ لقب «المسيح» :

فى سفر الأعمال: «وكان شاول مع التلاميذ الذين فى دمشق أياما، وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح: أن هذا هو ابن الله[1]. فبهت جميع الذين كانوا

---

(١) نص المزمور الثانى: « لماذا ارتجت الامم، وتفكر الشعوب فى الباطل. قام ملوك الارض، وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه، قائلين: لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربطهما. الساكن فى السموات يضحك .الرب يستهزئ بهم. حينئذ يتكلم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه. أما أنا فقد مسحتُ ملكى على صهيون جبل قدسى.

إنى أخبر من جهة قضاء الرب. قال لى: أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك. اسألنى، فاعطيك الامم ميراثا =

يسمعون وقالوا: أليس هذا هو الذى أهلك فى أورشيم، الذين يدعون بهذا الاسم. وقد جاء إلى هنا، لهذا، ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة. وأما شاول فكان يزداد قوة، ويحير اليهود الساكنين فى دمشق، محققا: أن هذا هو المسيح» {أع ٩: ٢٠ ـ ٢٢}

٣ ـ المدينة التى سموا فيها مسيحين:

فى سفر الأعمال: «ثم خرج بَرنابا إلى طرسوس؛ ليطلب شاوُل. ولما وجده، جاء به إلى أنطاكية. فحدث أنهما اجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة. وعلما جمعا غفيرا. ودعى التلاميذ مسيحين فى أنطاكية أولا» { أع ١١: ٢٥ ـ ٢٦ }

٤ ـ لقب العبد المتألم:

فى سفر إشعياء نبوءة عن محمد ﷺ بلقب «العبد المتألم» من إعراض الناس عن دعوته. أولها: «هو ذا عبدى يعقل، يتعالى، ويرتقى، ويتسامى جدا» ويندهش الناس من نحاج دعوته، ولأن اليهود لا يريدونها؛ صار منظره عندهم كريها. وملوك الكفر يسدون أفواههم من أجله. وهو سيحاربهم وسينتصر عليهم، لأنه «لمن استُعلنت ذراع الرب»؟ وإنه فى نظر اليهود محتقر، لا صورة له ولا جمال. مع أنه تحمل الأذى فى سبيل إبعادهم عن النار وهو مستسلم لإرادة الله، كاستسلام الشاة التى تساق إلى الذبح. وفى أيام شريعته سيكثر الخير جدا حتى أنه يقال: «من يصف جيله»؟ من كثرة الخيرات فيه. ودفن فى أرض. هى أرض أشرار فى نظر اليهود، مع أنها به صارت من أغنى الأراضى «على أنه لم يعمل ظلما، ولم يكن فى فمه غش» ولن يقتل بيد أعدائه « ومسرة الرب بيده تنحج» وهو إن جاهد فى سبيل الله، يكثر أتباعه « إن جعل نفسه ذبيحة إثم، يرى نسلا تطول أيامه» ومن كثرة جهاده «يشبع» من الغنائم « وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين»

ثم قال عن مكة المكرمة « ترنّمى أيتها العاقر التى لم تلد» ثم قال عن أتباع النبى الآتى منها وهو العبد المتألم « وكل بنيك تلاميذ الرب، وسلام بنيك كثيرا»

ـ لك، وأقاصى الأرض ملكا لك. تحطمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزاف تكسرهم. فالآن يا أيها الملوك تعقلوا. تأدبوا يا قضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة. قبلوا الابن لئلا يغضب. فتبيدوا من الطريق، لأنه عن قليل يتقد غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه»

إلى آخر ما قال.

وهذه النبوءة طويلة، وتبدأ من الأصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء فماذا فى الإنجيل عنها؟

روى يوحنا: أن علماء اليهود لما تذمروا واستاءوا من تصريح عيسى بمحمد ـ عليهما السلام ـ وهو يطبق نبوءة الابن عليه. قال لهم: هل أنا أتيت بجديد عليكم فى شأن هذا النبى؟

اقرأوا المكتوب عنه فى سفر إشعياء، ودققوا النظر فى ماتقرأون. قال لهم: «لا يقدر أحد أن يقبل إلىّ إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى. وأنا أقيمه فى اليوم الأخير. إنه مكتوب فى الأنبياء: ويكون الجميع متعلمين من الله » [يو ٦: ٤٤ ـ ٤٥] يريد بالمكتوب فى الأنبياء: المكتوب فى أسفار الأنبياء الذين أتوا من بعد موسى وتركوا كتبا هى أسفار. والنص الذى ذكره موجود فى سفر إشعياء. من نبوءة طويلة عن محمد ﷺ فماذا فعل فيها المسيحيون؟ لاحظ « المسيحيون» أن المسلمين يعبرون بتعبير « النصارى» مع أن النصارى لم يكونوا ضد محمد ﷺ والذين هم ضده هم المسيحيون. أى الذين سرقوا نبوءات التوراة عن محمد عليه السلام ـ ووضعوها على عيسى ـ عليه السلام ـ وهم يعبرون بتعبير النصارى، لأنهم لا يُعرفون لدى القراء إلا بالنصارى. وهم قالوا: إنا نصارى. وهم فى الأصل: يهود، وسماهم اليهود بالنصارى. لكنهم من مجمع نيقية مسيحيون. ويقولون من بعد هذا المجمع :إننا نصارى . لئلا يشك الناس فى تغيير معتقدهم فى النبى الآتى.

إنهم كتبوا فى سفر أعمال الرسل ـ وهو سفر لا وجود له فى العالم من قبل القرن الرابع ـ أن « فيلبس » الحوارى وهو سائر فى الطريق المؤدى إلى « غزة» من « أورشليم » وجد وزير « كنداكة» ملكة الحبشة، وبشره بأن يسوع هو النبى الأمى الآتى إلى العالم على مثال موسى. وأراه نبوءة إشعياء عن العبد المتألم، وفسرها له على يسوع. ومعنى هذا: أن عيسى كان له رأى، وأن الحواريين لم يكونوا على رأيه. أو أنهم كانوا على رأيه، والمحرفون من القرن الرابع عكسوا كلامهم فى النبوءات.

ففى الأصحاح الثامن من سفر الأعمال:

« ثم إن ملاك الرب كلم فيلبس قائلا: قم واذهب نحو الجنوب، على الطريق المنحدرة من أورشليم إلى غزة التى هى برية. فقام وذهب. وإذا رجل حبشى خصى وزير لكنداكة ملكة الحبشة، كان على جميع خزائنها. فهذا كان قد جاء إلى أورشليم، ليسجد وكان راجعا وجالسا على مركبته. وهو يقرأ النبى إشعياء.

فقال الروح لفيلبس: تقدم ورافق هذه المركبة. فبادر إليه فيلبس، وسمعه يقرأ النبى إشعياء. فقال: ألعلك تفهم ما أنت تقرأ؟ فقال: كيف يمكننى إن لم يرشدنى أحد؟ وطلب إلى فيلبس أن يصعد ويجلس معه. وأما فصل الكتاب الذى يقرأه فكان هذا: « مثل شاة سيق إلى الذبح .ومثل خروف صامت أمام الذى يجزه، هكذا لم يفتح فاه. فى تواضعه، انتزع قضاؤه. وجيله من يخبر به. لأن حياته تُنتزع من الأرض».

فأجاب الخصى فيلبس، وقال: أطلب إليك. عمن يقول النبى هذا؟ عن نفسه أم عن واحد آخر؟ ففتح فيلبس فاه، وابتدأ من هذا الكتاب فبشره بيسوع.

وفيما هما سائران فى الطريق، أقبلا على ماء. فقال الخصى: هو ذا ماء. ماذا يمنع أن أعتمد؟ فقال فيلبس: إن كنت تؤمن من كل قلبك، يجوز. فأجاب وقال: أنا أومن أن يسوع هو ابن الله.

فأمر أن تقف المركبة، فنزلا كلاهما إلى الماء، فيلبس والخصى، فعمده. ولما صعدا من الماء، خطف روح الرب فيلبس، فلم يبصره الخصى أيضا. وذهب فى طريقه فرحا. وأما فيلبس فوجد فى أشدود. وبينما هو مجتاز، كان يبشر جميع المدن، حتى جاء إلى قيصرية» [أع ٨: ٢٦ ـ ٤٠]

لاحظ:

أ ـ ظهور الخرافة فى النص

ب ـ إن الوزير كان يحج إلى هيكل سليمان فى أورشليم .والحج معناه السجود .

جـ أن فيلبس عكس كلام عيسى عليه السلام المدون فى إنجيل يوحنا .

د ـ أن الوزير قال: « أنا أومن أن يسوع المسيح هو ابن الله » من الذى علم الوزير أن يسوع، صار ابن الله؟

هـ ـ لقب « ابن الله» لم يوضع على عيسى عليه السلام إلا فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وهو لقب من ألقاب « المسيا الرئيس »

و ـ لقب « ابن الله» نبوءة فى المزمور الثانى لداود عليه السلام عن النبى الأمى الآتى بحسب لسان بنى إسرائيل . على معنى أنه منتسب إلى الله، وليس منتسبا إلى الشيطان، الذى يضل العالم. وقد طبقها يحيى عليه السلام على محمد ﷺ وطبقها عيسى عليه السلام على محمد ﷺ كما فى يوحنا ٣:٣٦ ويوحنا ٥ : ٢٥ وكل ذلك مبين فى كتاب اقتبسات كتاب الأناجيل من التوراة [١]

{ تم التعقيب }

وأذكر بعده نص الفصل الأول من الجزء الأول من كتاب « تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية» تأليف: الأب ألبير أبونا ـ دار المشرق ببيروت ـ وذلك لعمل مقارنة بين ما فيه وبين ما فى الكلام المترجم. فيكون أمام القارئ نصان عن نشأة الكنيسة السريانية، ينتفع بهما إذا عمل رسالة للماجستير أو الدكتوراه عن الصلة بين السريان والمسلمين، فى العقائد والتشريعات والشعر والنثر والخط. بدءا من مدرسة جنديسابور حتى العصر الحديث.



(١) اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة ـ نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة

نص من

تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية

«أسس المسيح كنيسته على الأرض لتواصل عمله الخلاصى بين البشر وتنشر البشرى التى تولى الناس السعادة والسلام. وأوصى المسيح رسله قائلا: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم»[(١)]- « اذهبوا فى الأرض كلها، وأعلنوا البشارة إلى الخلق أجمعين»[(٢)]- « وتكونون لى شهوداً فى أورشليم واليهودية كلها والسامرة حتى أقاصى الأرض» [(٣)].

وامتثالاً لهذه الوصية راح الرسل، بعد أن نالوا موهبة الروح القدس وامتلأوا قوة من العلاء، يجوبون البلدان وينادون بالمسيح وإنجيله ويدعون الناس إلى الانضواء تحت راية المخلّص. وسرعان ما دخلت الديانة المسيحية إلى مدينة انطاكيا بواسطة الرسل الذين أخذوا هذه المدينة التجارية الكبرى قاعدة لانطلاقهم شطر الغرب فى الكرازة والتبشير. وفى انطاكيا أطلق اسم « المسيحيين » أول مرة على أتباع يسوع الناصرى[(٤)]. وجاءت شهادات كثيرة فى سفر أعمال الرسل تشير إلى أهمية انطاكيا فى انتشار المسيحية.

نشأة المسيحية فى الرها وما بين النهرين

إن دخول المسيحية إلى ما بين النهرين موضوع بحث ونقاش. فليس ثمة براهين قاطعة تؤكد أو تنفى دخولها إلى هذه المنطقة منذ القرن الأول الميلادى، أى منذ عهد الرسل أو تلاميذهم. وهناك من يقول: إن المجوس، الذين انطلقوا من

---

(١) متى ١٩/٢٨.

(٢) مرقس ١٦/ ١٥.

(٣) أعمال الرسل ١/ ٨.

(٤) أعمال الرسل ١١/ ٢٦.

بلداننا هذه أو من البلاد الفارسية إلى بيت لحم ليكرموا المسيح فى ميلاده، أصبحوا رسلاً ويشروا بهذا الحدث الفريد لدى عودتهم إلى أوطانهم، بعد أن تزودوا ببعض قطع من قمط يسوع الطفل لليمن والتبرك، كما يقول سليمان البصرى[1] فى الفصل ٣٩ من كتاب النحلة [دبوريثا] ويذكر سفر أعمال الرسل بين الحاضرين فى أورشليم يوم العنصرة «الفرثيين والماديين والعيلاميين وسكان ما بين النهرين. . .»[2] وقد شاهدوا النتيجة الباهرة التى ظهرت على الرسل من جراء حلول الروح القدس عليهم. ألم يلق هذا الحدث العظيم أى تجاوب فى نفوسهم؟ أم أنهم أصبحوا النواة الأولى للمسيحية فى أوطانهم،ثم أقبل الرسل وسقوا هذه البذرة الصغيرة بكرازتهم ودمائهم، فنمت وازدهرت وأثمرت؟

ولكن ليس فى حوزتنا نص كتابى يؤكد دخول المسيحية إلى منطقة الرها وإلى مابين النهرين أو يشير إليها إشارة واضحة؛ لذا فإننا نضطر إلى اللجوء إلى التقليد الجارى فى كنيستنا الشرقية وإلى كتابات المؤرخين، ونسعى فى اكتشاف الحقيقة من خلالها.

ماذا يقول التقليد؟

إن التقليد الجارى فى كنيسة ما بين النهرين يؤكد أن الرسل الذين بشروا هذه المنطقة هم أربعة: توما الرسول، ثم أدى وتلميذاه اجاى ومارى. ولقد تكون هذا التقليد ابتداءً من القرن الرابع وشق طريقه إلينا وهو يزداد رسوخاً خلال الأجيال.

فنرى فى قصة البطريرك يهبالاها الثالث المغولى، إن رفيقه الربان صوما، لدى ذهابه إلى روما، يرد على الأسئلة ببساطته الرائعة ويقول: إن كنيسته قد أسسها مار توما وادى ومارى،وأنهم ما يزالون متمسكين بتعاليم هؤلاء المبشرين الأولين[3]. وكان المؤمنون فى مدينة مراغا، إحدى العواصم المغولية شرقى بحيرة أورمية، يكرمون

(١) سليمان البصرى كاتب سريانى شرقى، ولد فى نهاية القرن الثانى عشر وأقيم مطراناً على البصرة فى الربع الأول من المئة الثالثة عشرة [طالع كتاب ادب اللغة الآرامية للمؤلف، بيروت ١٩٧١، ص ٤٣٤ ـ].

(٢) أعمال الرسل ٢/٩.

(٣) طالع قصة مار يهبالاها، طبعة بيجان، باريس ١٨٩٥، ص ٥٧ ـ ٥٨.

ذخائر ادى ومارى، وذلك فى نحو سنة ١٣٠٠م. ويؤكد سليمان البصرى هذا التقليد وينقل إلينا مجمل ما جاء فى تعليم أدى وأعمال مارى قائلا: أن أدى. ثم أجاى بشرا الرها وما بين النهرين[١]، وقد نسبت الليتورجيا الشرقية القديمة إلى مار أدى ومار مارى اللذين يرد ذكرهما بنوع خاص فى الصلوات الطقسية بعد اسم الرسول.

ولكن هل ثمة واحد أم رسل عديدون قاموا بتبشير ما بين النهرين؟

فإن مارى بن سليمان[٢] يقول : «إن ادى السليح عبرانى من السبعين الذين صحبوا سيدنا المسيح أرسله توما أحد الاثنى عشر إلى المشرق وتبعه مارى تلميذه بعد صعود سيدنا إلى السماء بثلاثين سنة»[٣] فهو إذن يعزو التبشير الأول إلى ادى. ولكنه يستدرك قائلاً: «ونتنائيل بن تلمى ولبى الملقب بتدى وتوما من الاثنى عشرة [هكذا] وادى ومارى واحد من السبعين تلمذوا المشرق واستقامت أمور النصرانية على أيديهم أحسن استقامة»[٤].

أما صليبا بن يوحنان الموصلى[٥] فيذكر أن مارى أسس كرسى المشرق ولكنه تلمذ أيضا البلاد التى كان ادى «رفيقه» قد تلمذ فيها، وأنه «أقام فى التلماذ بعد مارى ادى ورفيقه ثلاثة وثلاثين سنة»[٦].

فنلاحظ إذن أن معظم الذين كتبوا أو تكلموا عن تنصر ما بين النهرين يعتبرون

---

(١) كتاب النحلة، الفصل ٤٨.

(٢) مارى بن سليمان كاتب سريانى شرقى عاش فى القرن الثانى عشر. وضع موسوعة أسماها كتاب المجدل لا تشغل سلسلة بطاركة المشرق المطبوعة فى روما سنة ١٨٩٩ إلا جزءا صغيراً منه.

(٣)طالع المجدل، طبعة جيسموندى، روما ١٨٩٩، ص١ .

(٤) الموضع عينه، ص٢.

(٥) ولد صليبيا فى سلخ القرن الثالث عشر. وفى نحو ١٣٣٢ عكف على دراسة «المجدل» لمارى بن سليمان وأضاف إليه أسماء ثمانية بطاركة خطا، ونقح الكتاب، ولقح الكتاب وحذف منه أمورا كثيرة بالذكر أن هذا المجدل يُنسب خطأ إلى عمرو بن متى الطيرهانى الذى أجرى عليه بعض التنقيحات بعد صليبا.

(٦) طالع صليبا فى المجدل، طبعة جيسموندى، روما ١٨٩٦، ص ١ ــ ٢.

توما رسولها الأول والدافع إلى تبشيرها. ولقد بات الأمرُ أكيدا الآن أن توما الرسول ذهب إلى بلاد الهند وبشر فيها وقضى نحبه هناك[1] . ويقول المؤرخ أوسابيوس القيصرى: إن القديس توما الرسول بشر بلاد الفرثيين أيضا لدى عبوره فيها فى طريقه إلى الهند [2].

أما ما قيل عن القديس بطرس الرسول من أنه بشر البلاد البابلية فناتج عن سوء فهم لما جاء فى رسالته الأولى: « تسلم عليكم الكنيسة المختارة فى بابل»[3]. فقد ظن الشرقيون أن القديس بطرس يتكلم هنا عن بابل العراق وأن الرسول قد تلمذ هذه البلاد حقا، فراحوا ينسجون حول هذا الظن جملة من الأساطير، كأسطورة كنيسة شمعون الصفا فى الموصل، فهى تزعم أن القديس بطرس اجتاز يوماً الموصل وشفى ابن صاحب المعصرة التى كانت فى موضع هذه الكنيسة سابقاً، فشكره هذا وجعل بيته كنيسة على اسم القديس الكبير [4] . وقد يكون مصدر هذه الأسطورة اكتشاف بقايا مكبس للسمسم تحت الكنيسة سنة ١٨٦٤. وتتصل الأسطورة من جهة أخرى بالتقليد الشرقى، فسمت فئة من الشرقيين بطاركتها باسم مار شمعون { بطرس } إلا أن الوثائق التاريخية تجمع على أن زعيم الرسل توجه نحو الغرب انطلاقاً من إنطاكيا، ثم استشهد فى روما وأن بابل المذكورة فى رسالته ليست سوى إشارة إلى العاصمة الرومانية التى منها وجه رسالته، وسماها الرسول كذلك لكونها يومئذ مركزاً لعبادة الأوثان والفواحش والموبقات، شأن بابل القديمة الوثنية.



---

(١) طالع مقالة الأب هابى اليسوعى فى مجلة الشرق السريانى ٨، ص٤١٣ ـ ٤٢٤، طالع أيضاً أعمال توما فى سير الشهداء والقديسين ٣، باريس ٩٢ ١٨، ص ١ ـ ١٧٥.

(٢) أوسابيوس القيصرى، التاريخ الكنسى، طبعة بيجان، باريس ١٨٩٧، ص١٥١.

(٣) ١ بطرس ٥/١٣.

(٤) طالع مجلة النجم الكلدانية ١ لسنة ١٩٢٩، ص ١٤٩، سليمان الصائغ، تاريخ الموصل ٣ جونيه ١٩٥٦، ص ٩٧ ـ ٩٩، الأب حنا فيى، الموصل المسيحية، بيروت ١٩٥٩ص ١١٢، الأب يوسف حبى، مجلة بين النهرين الموصلية ١ لسنة ٧٣ ١٩، ٥٩ ـ ٧٨.

جولة فى الوثائق

هناك وثائق عديدة تطلعنا على بدء المسيحية فى ما بين النهرين وتنسب هذا التبشير إلى أحد التلاميذ، لاسيما إلى أدى واحى وأجاى ومارى. فلنلق نظرة خاطفة على ما قيل عنهم فى هذه الوثائق.

١ـ تعليم أدى

إن هذا « التعليم» فى صيغته الحالية محفوظ فى مخطوطات لا ترقى إلى أبعد من القرنين الرابع والخامس، وهو فى هذه الصيغة يحتوى على أكثر مما يذكره عنه أوسابيوس القيصرى فى تاريخه [١]. ودونك موجز ما جاء فى هذا « التعليم»:

إن ملك الرها أبجر الخامس « أوكاما » [الأسود] ابن معنو [٢] ، حينما سمع من أحد أشراف مملكته بالعجائب والمعجزات التى يجترحها يسوع فى فلسطين، رغب فى الذهاب إليه. إلا أن العداوة القائمة بينه وبين الرومان حالت دون تحقيق رغبته، فأوفد إلى يسوع رجالاً، يطلب إليه أن يأتى ويشفيه من مرضه العضال [داء الملوك] وأن يشاطره ملكه.

وحينما وصل رسل الملك إلى فلسطين؛ ألفوا يسوع فى بيت أحد رؤساء اليهود، يدعى «كماليد» وقدموا إليه رسالة الملك؛ ففرح يسوع بهذه البادرة، ولكنه أسف لعدم إمكانه تلبية رغبة الملك والذهاب إليه؛ لأن رسالته موجهة إلى فلسطين أولاً، وعلى رسله الا يخرجوا من هذه البلاد قبل صعوده إلى السماء. ولكنه أردف قائلاً للموفدين: إنه سيعهد إلى أحد رسله بالذهاب، بعد صعوده إلى السماء، إلى الملك لكى يشفيه. وقد ألقيت هذه المهمة بعدئذٍ على عاتق أدى أحد الاثنين والسبعين، فذهب بعد العنصرة إلى الرها وشرع يبشر فيها ويجرى

---

(١) ولد أوسابيوس القيصرى سنة ٢٦٣ وتوفى سنة ٣٣٩. وكتب تاريخه الشهير بعد سنة ٣٢٥ وقد نشره الأب بولس بيجان اللعازرى فى باريس سنة ١٨٩٧.

(٢) استوى ابجر أوكاما [الأسود] على عرش الرها مرتين: سنة ١٠ ـ ٧ ق.م. وسنة ١٣ ـ ٥٠م.

العجائب. وما إن سمع الملك بتلك الأعمال المدهشة حتى تذكر وعد المسيح له.

فاستدعى أدى وأكرم مثواه. وشفى أدى الملك من دائه العضال ومنحه العماد مع ذويه وكثير من اليهود والوثنيين. ولما أشرف أدى على الموت، عين تلميذه اجاى خلفاً له على كرسى أسقفية الرها. ثم مات ودفن بإكرام بالغ فى مقبرة ملوك الرها (١).

وقد تخللت هذه الوثيقة روايات أخرى عديدة، كرواية المنديل الذى انطبعت عليه صورة المسيح المتألم، ورواية اكتشاف الصليب المقدس بواسطة هيلانة أو بروتونيقى امرأة كلوديوس فى عهد الإمبراطور الرومانى طيباريوس، ورسائل الملك أبجر إلى طيباريوس، وجواب المسيح على أبجر وبركته للرها...

ما هو نصيب التاريخ من هذه الوثيقة؟

إن معظم المؤرخين والنقاد يجمعون علي القول إن تعليم ادى فى صيغته الحالية متأخر عن تاريخ أوسابيوس القيصري، وهم يفترضون بالإجماع وجود وثائق رهاوية كانت أساساً ونواة أولى للتعاليم اللاحقة. وأوسابيوس نفسه استقى معلوماته من وثائق فى الرها.

فهو يقول فى سياق كلامه عن تدى { ادى }:

«لقد كمل وعد المسيح بواسطة { ادى} ولديك شهادات على ذلك فى كتابات استُقيت من مذكرات فى الرها التى كانت مملكتها ما تزال قائمة. فإن الأضابير الموجودة هناك تضمنت ما قام به الأقدمون حتى أبجر. وما جرى إلى الآن محفوظ أيضاً هناك»(٢).

(١) طالع فى هذا الشأن أيضا سير الشهداء والقديسين ١، باريس ١٨٩٠، ص٤٥ ـ ٥١، كتاب سيرة أشهر شهداء المشرق ١، الموصل ١٩٠٠، ص١٣، كتاب المجدل لمارى بن سليمان، ص ١ـ ٣ وهو يقول إن أدى أتى أيضا إلى حزة والموصل وباجرمى، مشيخا زخا المنحول طبعة الفونس منكنا، للموصل ١٩٠٧ ، ص٢ وهو يقول إن ادى هو الذى رسم «فقيدا» الأسقف الأول لحدياب، معجم التاريخ والجغرافية الكنسية { بالفرنسية } ١ لسنة ١٩١٣، عهود ١١٣ ـ ١١٤. الخورى حنا قريو، فى مجلة النجم الكلدانية الموصلية ٦ لسنة ١٩٣١، ص٢٩١ ـ ٢٩٧.

(٢) طالع أوسابيوس القيصرى أو التاريخ الكنسى، ١٫١٣، ص ٦٨.

وفى موضع آخر يقول أوسابيوس متكلماً عن رسالة تدى :

«كما قلنا ذلك نقلاً عن كتاب وُجد هناك... وقد قيلت هذه الأمور نقلاً عن روايات الأقدمين»[1]. وكان أوسابيوس مطلعاً على الرسائل التى قيل إنها تبودلت بين أبجر والمسيح.

فكل شيء يحدونا إذن إلى القول إن الوثائق الرهاوية كانت النواة الأولى. ثم جاء أوسابيوس القيصرى فى النصف الأول من القرن الرابع واستفاد منها لتكوين تاريخه الشهير، فيما يخص نشأة المسيحية فى ما بين النهرين. وقد نقل هذه الوثائق كما هى على وجه التقريب. وبعد زمان جاء كاتب آخر وأراد أن يولى هذه الكتابات طابعاً تقوياً مثيراً، فأضاف إليها روايات وأساطير عديدة. ولم تكن رسامة «فالوط» نفسه إلا إحدى تلك الالاعيب التقوية، أراد بها الكاتب أن يربط المسيحية فى مابين النهرين بكرسى أنطاكيا من جهة بواسطة «سرابيون» وبكرسى روما من جهة أخرى بواسطة «زفيران» وكانت حصيلة ما جمعه هذا الكتاب ما نطلق عليه اسم تعليم ادى الذى فيه امتزجت الأسطورة بالنواة التاريخية.

الأساطير:

(ا) أسطورة اكتشاف الصليب:

وفيها التباس واضح بين هيلانة أم الملك قسطنطين الكبير وهيلانة أخرى كانت أميرة فى ما بين النهرين، ويتكلم عنها أوسابيوس[2] معتمداً ما جاء فى كتابات المؤرخ اليهودى الشهير فلافيوس يوسيفوس. وإذا بصاحب تعليم ادى ينسب اكتشاف الصليب، على حين غرة، إلى هيلانة ملكة ما بين النهرين {حدياب} وهذه إشارة بينة على أن «التعليم» لم يكتب قبل القرن الرابع، أى بعد اكتشاف الصليب المقدس بجهود القديسة هيلانة أم الملك قسطنطين المظفر.

---

(١) الموضع عينه، ٢، ١، ص ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) الموضع عينه ٢، ١٢، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

ب) أسطورة صورة المسيح:

إنها أسطورة استنبطتها مخيلة المسيحيين انطلاقاً من التقاليد القائلة بأن القديسة فيرونيكا { وارينة } التى مسحت وجه يسوع المتألم على طريق الجلجلة حظيت بصورة هذا الوجه المقدس مطبوعة على منديلها [1]. وإذا بهذا المنديل يصل إلى الرها. وتقول التقاليد: إن هذه الصورة كانت موضع الإكرام فيها حتى القرن التاسع، ثم نقلت إلى القسطنطينية. وفى القرن الثالث عشر أهداها الإمبراطور إلى دوق جنوى.

ج) رسائل أبجر إلى طيباريوس الإمبراطور الرومانى:

إنها رسائل مسهبة تتسم بطابع العنف والصرامة. وكل ما فيها ينفى صحة نسبتها إلى الملك أبجر. فإن هذا الملك لم يتجاسر على المجيء إلى يسوع، وخاف أيضاً من الرومان أن يرسل جنوده إلى فلسطين للانتقام لدم المسيح، فكيف يقدم الآن على توجيه كتابات عنيفة اللهجة إلى الإمبراطور الرومانى؟ فيظهر أن صاحب « التعليم» حينما وجد ذكر طيباريوس فى الرسالة التى وجهها أبجر إلى المسيح أراد أن يقلد الرسالة التى وجهها قسطنطين الكبير إلى الملك شابور الثانى الفارسى فى القرن الرابع، فيها يوصيه بالرفق بالمسيحيين القاطنين فى الإمبراطورية الفارسية.

د) بركة المسيح لمدينة الرها:

يضع كاتب «التعليم» على فم المسيح أو فى رسالته إلى الملك أبجر هذا القول:

«وستكون مدينته مباركة ولن يقوى عليها عدو » وتجدر الملاحظة أن هذه البركة لم ترد فى تاريخ أوسابيوس. ولكن معظم الكتبة السريان ـ أمثال القديس أفرام ويعقوب السروجى ـ والأرمن واليونان واللاتين يذكرون هذه «البركة

(١) راجع سير الشهداء والقيسين ١، باريس ١٨٩١، ص ٦، شهداء المشرق ١، ص١٠ وهو يقول إن المصورين اللذين أرسلهم أبجر الملك لرسم صورة أخفقوا فى عملهم، فأخذ يسوع منهم منديلاً وطبقه على وجهه فطبعت عليه صورته مثلما كانت، فأتوا بالمنديل إلى أبجر الملك.

المزعومة» ويظهر أنها ناتجة عن الامتيازات التى حصل عليها أبجر ملك الرها. وقد سببت هذه البركة خيبة أمل كبيرة عند الكتبة الشرقيين لدى سقوط الرها ودمارها فى منتصف القرن الثانى عشر، وأدت ببعضهم إلى التشكيك فى العناية الإلهية وفى وعود المسيح.



ولكننا الآن إزاء مشكلة تعاقب الأساقفة على كرسى الرها. فإن معظم الأعمال والمؤرخين يقولون: إن أجاى خلف ادى. وهذا أمر لا نريد التشكيك فى صحته. أما أن يأتى بعد ادى الأسقف « فالوط » ثم يتبعه «عبشلاما» ويليه «برسميا» الذى هدى شربيل رئيس كهنة الوثنيين إلى الديانة المسيحية ثم استشهد كلاهما فى عهد الإمبراطور « طريانس »[1] فإن هذا الأمر لا يمكننا قبوله. وذلك لأن فالوط عاش فى نهاية القرن الثانى وأن برسميا استشهد فى عهد داقيوس الرومانى(٢٤٩ـ٢٥١) وليس فى عهد طريانس، كما تزعم قصته. فإن هذه القصة لم تكتب إلا بعد مجمع نيقية [٣٢٥] هناك احتمالان للخروج من هذا المأزق: إما أن لا يكون فالوط الخلف المباشر لأجاى، نظراً إلى الفترة الفاصلة بينهما والتى تقدر بقرن واحد. فيكون هناك، والحالة هذه، أساقفة آخرون لم يحفظ لنا التاريخ أسماءهم. وأما أن يكون فالوط الخلف الأول لأجاى إذا افترضنا انقطاعاً فى سلسلة أساقفة الرها وتقهقر الديانة المسيحية هناك بعد فترة اهتداء الملك أبجر الخامس وشعبه إليها. وهذا قد لا يكون بعيداً عن الاحتمال. إذ إن التاريخ يقدم لنا نماذج كثيرة لمثل هذا التراجع عن الاندفاع الأول والسقوط فى الفتور والرجوع إلى التقاليد القديمة. وهذا ما تؤيده الوثائق الرهاوية نفسها حينما تروى لنا قصة فيضان نهر ديصان سنة ٢٠١ وفيها يظهر الملك وثنيا والمدينة كذلك، مع قلة تدين بالمسيحية وتمتلك كنيسة هناك دمرها هذا الفيضان. ثم بعد فترة وجيزة تعود المدينة وملكها إلى الديانة المسيحية. وإذا بعلامة النجوم الثلاثة والهلال التى كانت تعلو نقود الرها وتاج ملكها تخلى المكان لشارات مسيحية أكيدة، وهكذا يكون فالوط ثم عبشلاما وبرسميا قد تعاقبوا

(١) طالع سير الشهداء والقديسين ١، ص ٩٥ ـ ١٣٠، شهداء المشرق ١، ص ٤٢ ـ ٦٨.

على كرسى الرها فى الفترة الواقعة بين سنة ١٩٠ وسنة ٢٥٠م.

فليس إذن ثمة ما يدفعنا إلى الشك فى التقليد القائل بمجىء أدى إلى الرها وبالتبشير فيها فقد كانت الرها مركزا لمقاطعة اسروينا ومحطة هامة فى طريق القوافل السائرة من الأقطار الشرقية وإليها. ومن جهة أخرى لم تكن الرها بعيدة جداً عن أنطاكيا، منطلق الرسالات المسيحية. وكانت فيها جالية يهودية مرتبطة بأورشليم دينياً، وكانت لغتها الآرامية هى اللغة التى يتكلم بها الرسل مع اختلاف طفيف. فنظراً إلى هذه الاعتبارات وإلى الرسالة الشاملة التى أُنيطت بالرسل وخلفائهم: « اذهبوا إلى العالم كله... بشروا الخليقة كلها...» كان من الطبيعى أن تحظى مدينة كهذه ببشرى الخلاص منذ عهد الرسل أو تلاميذهم ... أما أن تكون المسيحية فى الرها قد حافظت على حيويتها باستمرار فى القرنين الأولين، فهذا أمر لا يمكننا البت فيه، إذ ليس ثمة وثيقة تطلعنا على نشاط الكنيسة أو تنظيمها فى الرها فى هذين القرنين، ولا ترقى معلوماتنا إلى أبعد من نهاية القرن الثانى أو مطلع القرن الثالث.

٢ـ أحى

يظهر هذا الشخص بصفة تلميذ لأدى ومرافق لمارى. وقد ورد ذكره مرارا عديدة فى كتاب المجدل، حيث يقول عنه مارى بن سليمان: « وتوجه أحى ومارى إلى نصيبين وعمّدا أهلها وأنفذ مارى إلى المشرق وأحى إلى قردى وبازبدى... وأدى قصد مع أحى ومار مارى بلاد الرها والموصل وبابل والشمال والجنوب وبوادى المغرب... وأحى السليح بعد عودة ادى إلى الرها مضى إلى الجبل والأهواز وتخوم السند وما قرب أجوج وماجوج. وعاد إلى قردى وبازبدى وبين النهرين وعاد إلى الرها»[١].

٣ـ أجاى

يزودنا كتاب « سير الشهداء والقديسين »[٢] بمعلومات نفيسة عن أجاى،

(١) طالع كتاب المجدل، ص ٢ـ٣.

(٢) الجزء الأول ص٥١، حاشية ٢، طالع ايضاً شهداء المشرق ١، ص ١٣ ـ ١٤.

ويقول إنه كان يصنع ثياباً حريرية وخوذات للملك. وقد خلف أدى فى الرها واقتبل منه الرسامة. ولكن ملكاً من أبناء أبجر طلب إلى أجاى أن يصنع له طوقاً من ذهب، فامتنع أجاى لانشغاله بخدمة المؤمنين الروحية. وإذ ثار ثائر الملك، وأرسل رجاله فكسروا ساقى أجاى بينما كان جالساً فى الكنيسة يشرح الكتب المقدسة للمؤمنين[1]. ويبدو من الوثائق الأخرى إن أجاى بشر هو أيضاً بلاد فارس كلها وآشور وأرمينية وبلاد ماداى ونواحي بابل وبيث هوزايى وجيلان وحتى حدود الهند وأجوج وماجوج والبلدان المجاورة . وهناك نصوص تذكر أجاى وتنسب إليه تبشير هذه البلدان، بينما تضرب صفحاً عن ذكر مار مارى[2]. إلا أن التقليد الشرقى عامة يعتبر أجاى رسول الرها أكثر منه رسول المنطقة الفارسية.

٤ـ مارى

هو تلميذ أدى، وكان مزداناً بمحبة الله والسيرة الفاضلة. واقتبل الرسامة من أدى نفسه الذى أرسله إلى منطقة المشرق، إلى بلاد بابل، وأمره بأن يبشر هناك بكلمة الرب. وقد ورد ذكر لمارى فى أقدم التقاويم، دون أى ذكر لأدى. ولا تظهر جولة أدى التبشيرية فى مابين النهرين السفلى إلا فى الوثائق المتأخرة، حيث يقرن اسمه باسم مارى بصفتهما « رسولى المشرق».

وفى مقدمة الوثائق التى تطلعنا على مار مارى ونشاطه الرسولى تأتى أعماله التى طبعت فى الجزء الأول من سلسلة « سير الشهداء والقديسين » ولكن لنا مآخذ عديدة على هذه الأعمال، من شأنها أن تلقى فينا الشك والارتياب تجاه هذه الوثيقة. فإنها تجعل من «فافا» الذى عاش فى نهاية القرن الثالث ومطلع القرن الرابع خلفاً مباشرا لمارى. وهذا ما يحدونا إلى اعتبار النص متأخرا فى عهد فافا.

---

(١) راجع أيضا التاريخ المغمور لسنة ٨٤٦ الذى طبع فى لوفان سنة ١٩٠٤ والترجمة ص ١٣٥، مختصر القوانين الرسولية لعبد يشوع الصوباوى التى نشرها الكردينال ماى، ص٢.

(٢) طالع مثلا تاريخ ميخائيل السريانى الذى نشره شابو وترجمه إلى الفرنسية بأربعة أجزاء فى باريس سنة ١٨٩٩ ـ ١٩٢٤، ١، ص١٤٧ ـ ١٥١ وهو يزودنا بلا ئحة ١٢ رسولاً و٧٠ مبشراً، ومعتمداً ابن الصليبى.

ويلاحظ المطران أدى شير فى هذه القصة ما يضطرنا إلى إرجائها إلى القرن الثامن أو التاسع. فقد وردت فيها مثلاً عبادة الأشجار والشياطين. ونحن نعلم أن الفرثيين فى عهد الرسل كانوا يكرمون الشمس والنار وبعض الأصنام.

هل جاء مارى إلى المداين؟

تقول أعمال مارى: « إنه إلى مدينة ساليق المبنية على دجلة» اجتمع عبدة الأصنام وعبروا إلى قطيسفون عند الملك ارطبان الذى كان يحكم على قطيسفون وعلى كوخى ... فأرسل الملك فى اثر الطوباوى، فأعبروه من جهة ساليق إلى حيث كان الملك ارطبان جالسا» ويقول مارى بن سليمان فى «المجدل»: «إن «مار مارى»... نصر الناس ببابل والأهواز، وسائر كور دجلة وفارس وكشكر الراذانيين ... وتوجه إلى مدينة سليق وهو شرقى المداين وقطيسفون غربيها، وهناك أسس مار مارى كنيسة « كوخى» والسبب فى تسمية بيعة المداين كوخى: أنها كانت أكواخ لأكرة مارد نشاه رئيس قطيسفون، ولما شفى مار مارى ابنته استوهبها منه» ولم يقتصر نشاط مار التبشيرى على المداين وحدها بل شمل مناطق أخرى واسعة من المشرق. فقد بشر نصيبين وأرزن وحدياب وداسن وزوزان وكوار، ولكنه أرسل تلميذه « طوميس» لتبشير هذه المناطق الثلاث الأخيرة. وأتى مارى إلى شهر قرد، ثم انطلق إلى درار الواقعة فى بيث كرماي، ومن هناك انحدر إلى بيث رادان ومنها ذهب إلى ساليق وقطيسفون ثم إلى دير قنى جنوبى المداين. وبعدئذ ذهب إلى كشكر المسماة واسط ثم إلى ميشان [ويسميها مارى فى المجدل دستميسان] ثم إلى بيث هوزايى ومنها إلى بيث فرسايى [فارس] واخيراً، بعد أن أكمل سعيه وانجز مهمته الرسولية، عاد إلى دير قنى حيث توفى ودفن.



لكن القيمة التاريخية لمجيء مار ماري إلى العاصمة الفرثية مرتبطة بقدم كنيسة « كوخي» التي ستصبح بعدئذ مقر « الجاثليق» في المشرق ... وهناك مؤرخون يرجئون تأسيس كنيسة ما بين النهرين إلى نهاية القرن الثاني أو مطلع القرن الثالث. ذلك لأن الوثائق التاريخية لا تزودنا بمعلومات واضحة وأكيدة بهذا الشأن.

السلك الهادى

إلا أن هناك إشارات جغرافية وردت عند معظم الكتبة من شأنها أن تسلط الأضواء على موضوعنا. في الواقع، نلاحظ أن جميع الكتبة يقدمون « كوخي» بصفتها ساليق الجديدة. فإلى ما بعد الفتح الإسلامي، لم تكن كوخي الواقعة شرقي ساليق الهلينية منفصلة عن المدينة القديمة إلا بوادٍ تتخلله بعض المستنقعات. وكذا الشأن مع المدينة التى شيدها الساساني الأول ارداشير في نحو سنة ٢٣٠

والتى تدعوها المصادر السريانية « ماحوزا» والإيرانية « فيه ارداشير» والتى سماها العرب بعد ذلك « بهر شير» إلا أن الحالة لم تكن هكذا دوما. فإن الوادى الفاصل بين ساليق القديمة الهلينية وبين كوخي لم يكن إلا المجرى القديم لنهر دجلة. وكان النهر قد غير مجراه بين سنة ٧٩ و ١١٦ واتخذ مجرى آخر يفصل بين كوخي وقطيسفون. ولدينا نص قديم أورده كتاب المجدل لماري بن سليمان [القرن ١٢] يقول: إن ماري جاء إلى قطيسفون وليس إلى ساليق. وهذا ما يعكس الحالة الراهنة قبل تغيير دجلة مجراه الأول. ويشير هذا النص إشارة واضحة إلى أن ماري جاء إلى قطيسفون بين سنة ٧٩ و ١١٦، وأن كنيسته الأولى أقيمت بين أكواخ العمال عند التل الواقع جنوبي قطيسفون وشرقي دجلة. وهذا ما يتيح لنا القول أن المسيحية بدأت انتشارها في العاصمة الأرشاقية منذ نهاية القرن الأول أو في مطلع القرن الثاني على أبعد تقدير. وهكذا يمكننا أن نقول حقًا: إن مار ماري هو «رسول الحق الأول الذى بشّر في المشرق بمعرفة الإله الأوحد» كما تقول كتبنا الطقسية، وأنه «شفيع المشرق» ومؤسّس الكنيسة في المداين[1].

---

(١) راجع كتاب التراجيم السنية للأعياد المارتية ١، الموصل ١٩٠١، ص ٢٥٣.

شهادات المؤرخين

وإذا تصفحنا كتابات المؤرّخين الأقدمين، نلاحظ فيها تارة تلميحات عابرة إلى دخول المسيحية إلى ما بين النهرين، وطوراً إشارات واضحة إلى وجودها ورسوخ قدمها فى هذه المنطقة. ومن بين هذه الشهادات نخص بالذكر الأهم:

أ) كتابة أبرسيوس

وكان أبرسيوس أسقفًا على جيرابوليس فى نهاية القرن الثانى ومطلع القرن الثالث. وفى الرحلة التى قام بها إلى المنطقة الواقعة ما وراء الفرات، أى إلى نصيبين وغيرها من المدن المجاورة، وجد هناك أخوة له مسيحيين[1].

ب) أوسابيوس القيصرى

كتب المؤرّخ الشهير أوسابيوس فى الربع الأول من القرن الرابع عن القضية الفصحية قائلاً: «إن كنائس مقاطعة ما بين النهرين ومدنها وافقت هى أيضاً على القرار الذى اتخذته سائر الكنائس الغربية بشأن الاحتفال بعيد الفصح يوم الأحد»[2] وكان ذلك فى عهد البابا فكتور (١٨٩ ـ ١٩٩م) وفى السنة العاشرة لحكم الإمبراطور كومودس (١٨٠ ـ ١٩٣) وهذا يدل على أن الكنيسة أو الكنائس فى ما بين النهرين كان لها أهمية ورأى يُؤخذ به فى نحو نهاية القرن الثانى.

ج) تاريخ الرها

إنه تاريخ تمّ جمعه فى سلخ القرن السادس الميلادى عن الوثائق المحفوظة فى الخزانات الرهاوية، وهو يبدأ بسنة ٢٠١م وهى السنة التى فيها طغى نهر ديصان بفيضان عارم ودمر «كنيسة للمسيحيين» ثم يواصل هذا التاريخ قائلاً: فى سنة ٢٠٢ وضع الأسقف نونا أساس كنيسة الرها. وهذه إشارة إلى وجود أسقف فى

---

(١) طالع كتابته فى معجم الآثار المسيحية ١، عمود ٦٦ ـ ٨٧.
(٢) التاريخ الكنسى لاوسابيوس القيصرى ٥، ٢٣.

الرها فى مطلع القرن الثالث وأن الكنيسة التى أسسها لم تكن الأولى فى الرها، إنما أقامها عوض الكنيسة التى أتى عليها الفيضان سنة ٢٠١ لقد ظهرت المسيحية فى الرها ثانية بعد أن شملها الغموض والخفاء خلال القرن الثانى الميلادى.

د) يوليوس الإفريقى

عاش يوليوس فى مطلع القرن الثالث. وهو يقول فى تاريخه إنه رأى فى بلاط أبجر ملك الرها (١٧٩ ـ ٢١٤) برديصان المسيحى الغنوسى الذى وصلتنا من مدرسته الكتابات السريانية الأولى. ونحن نعلم أن هذا الملك هو أبجر التاسع. إلاّ أن يوليوس لا يقول شيئًا عن تنصر الملك. ومع هذا فبوسعنا أن نستنتج بأن المسيحية كانت منتشرة فى الرها وقد تسربت حتى فى البلاط نفسه.

هـ) برديصان وكتاب شرائع البلدان

إن مؤلف كتاب «شرائع البلدان» هو فيلبس أحد تلاميذ برديصان، وقد كتبه بين سنة ١٩٦ و ٢٢٦ وهو على غرار حوار يدور بين الأستاذ (برديصان) ونفر من تلاميذه حول الله والخطيئة والشر والحرية والقدر وقوة الشرائع الخ... وقد وردت معلومات ضمن موضوع القدر حول المسيحية وعادات المسيحيين. فجاء فيه: «... ماذا نقول عن ملتنا النصرانية الجديدة التى أنشأها المسيح فى كل مكان وناحية. إننا حيثما وُجدنا نُعَرف بمسيحيين نسبة إلى اسم المسيح... وإن الأخوة الذين فى بلاد الفرثيين لا يأخذون امرأتين، والذين فى فارس لا يتزوجون بناتهم، والذين فى ماداى لا يهربون من أمواتهم ولا يقبرونهم وهم أحياء ولا يلقونهم للكلاب لكى تفترسهم، والذين فى أورهاى (الرها) لا يقتلون نساءهم وأخواتهم الزانيات بل يتجنبونهن مفوضين أمرهن لدينونة الله، والذين فى حطارا (الحَضَر) لا يرجمون اللصوص»[1] وجاء أيضًا فى هذا الكتاب: أن الملك أبجر (التاسع) آمن بالديانة المسيحية وأبطل بعض العادات الوثنية السائدة فى مملكته.

(١) برديصان، طبعة فونسيس نو، باريس ١٨٩٩، ص١٢٩؛ ادى شير، كلدو وآثور ٢، ص ٥.

و) دياطسرون ططيانس

جمعه ططيانس بين سنة ١٥٠ و ١٧٠ فى روما باليونانية. وحينما عاد إلى الشرق، ترجمه إلى الآرامية.

إن وجود دياطسرون (الإنجيل الموحد) فى النصف الثانى من القرن الثانى وسعة انتشاره فى ما بين النهرين؛ يدل دلالة واضحة على وجود المسيحية فى هذه المنطقة. وهذا الإنجيل نفسه يستند إلى ترجمة آرامية للإنجيل، إن لم تكن كاملة، فهى على الأقل جزئية، أجريت لاستعمال المسيحيين السريان. وكون ططيانس منحرفاً عن الدين المسيحى الصحيح - ومن ثم مناوأة الكنيسة لإنجيله الموحد - يدل أيضًا على أن المسيحية كانت قد انتشرت منذ عهد طويل فى هذه المنطقة، حتى أدى ذلك إلى الانحراف عند قوم، إذ إن الديانة لم تبدأ بالهرطقة[1].

ز) سقراطس وسوزومين[2]

كلا هذين المؤرخين يشهدان على التقادُم التى كانت تُقرِّب «الكنيسة مار توما الرسول فى الرها» ويذهب سوزومين إلى أبعد من ذلك فيقول: «إن هذه المدينة (الرها) قبلت الإيمان بالمسيح منذ البدء»

ح) برحلبشبا عربايا[3]

حينما يتكلّم برحلبشبا عربايا، فى كتابه سبب تأسيس المدارس، عن التقليد الجارى فى مدرسة الرها، يقول: إن المفسرين كانوا يعتمدون - قبل انتشار شرح المفسر الكبير، أى تيودوروس المصيصى - كتابات القديس افرام التى هى نقل

---

(١) طالع عن ططيانس، أدب اللغة الآرامية، ص ٤٦ - ٤٨.

(٢) وُلد سقراطس المؤرخ فى القسطنطينية فى نحو سنة ٤٠٨ وصار فيها محاميًا، وكتب تاريخاً كنسياً بسبعة أجزاء نشر فى سلسلة الباترولوجية اليونانية [٦٧، ٢٩ - ٨٤٢] ويتطرق فيه إلى الفترة ما بين سنة ٣٢٣ و ٤٣٩. وتوفى سقراطس بعد سنة ٤٤٠م أما سوزومين فكان من أصل فلسطينى، ثم أصبح هو أيضًا محاميًا فى القسطنطينية وكان معاصراً لسقراطس وكتب تاريخاً كنسيًا بتسعة أجزاء نشر فى سلسلة الباترولوجية اليونانية [٦٧، ٨٣٣ - ١٦٣٠] وهو شبيه بتاريخ سقراطس بل منسوج على منواله، ويتطرّق إلى الفترة ما بين سنة ٣٢٣، و٤٢٣، ومات هذا المؤرخ بعد سنة ٤٤٤.

(٣) توفى فى نحو سنة ٦٣٠، ونُشر كتابه فى الباترولوجية الشرقية ٤، لسنة ١٩٠٧، ص ٣١٩ - ٤١٠.

لتعاليم أدى مؤسس الجماعة المسيحية الأولى فى الرها.

... وهناك مؤرّخون آخرون عديدون تكلموا عن وجود المسيحية فى الرها وفى ما بين النهرين، ومنهم توما المرجى (القرن ٩) وايشوعدناح البصرى (القرن ٩) وميخائيل السريانى (+ ١١٩٩) ومارى بن سليمان (القرن ١٢) وصليبا بن يوحنان الموصلى (القرن ١٤) وابن العبرى (+ ١٢٨٦)... بالإضافة إلى ما جاء فى كتابات ترتليانس (القرن الثانى) عن وجود مسيحيين فى هذه المناطق إذ يقول: «أليس بالمسيح آمن كل الأمم: الفرثيون والماديون والعيلاميون والذين يسكنون فى ما بين النهرين»؟[1] ولو أن ترتليانس يبدو لنا وكأنه ينقل هنا العبارة الواردة فى سفر أعمال الرسل. وبالإضافة أيضًا إلى الشهادة التى يدلى بها ديونيسيوس الإسكندرى عن وجود كنائس مسيحية فى ما بين النهرين قبل عهده، أى قبل منتصف القرن الثالث.

دور اليهود

لابدّ أن الجماعات اليهودية المنتشرة آنذاك فى المناطق الشرقية والممتدة إلى بلاد بابل (الجلاء) لعبت دوراً فى انتشار المسيحية وفى الفكر المسيحى فى بلاد فارس. وهذا التأثير واضح فى أقدم طبقات ليتورجياتنا الشرقية التى تكونت أقدمها فى منطقة الرها. إلاّ أن المؤرّخين المسيحيين لا يشدّدون على هذا الدور، لأن معظمهم كتبوا فى العهود التى فيها أخذ عداءُ اليهود يتجلّى ضدّ المسيحيين وتزداد مقاومتهم لهذه الديانة الجديدة التى تهدّد ديانتهم، ومن ثمة أخذوا يتعاونون مع الحكام الوثنيين ضد المسيحيين (لا سيما فى عهود الاضطهادات الكبيرة فى القرن الرابع)

تم الكتاب

صححه فى المطبعة
علاء أحمد حجازى السقا

(١) راجع ادى شير، كلدو وآثور ٢، ص٥.

الفهرس

تم فهرس كتاب تبادل الخطابات
بين المسيح عيسى عليه السلام والملك آبجار